مفهوم السحر وحكمه بين المتكلمين والفقهاء

د/هدى عبد الحميد زكى محمد

الأستاذ المساعد بفرع الجامعة

(السادات)

من ٢٠٤٧ إلى ٢١١٤

مقدمة:

اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين

وبعد:

في الواقع أن للسحر حقيقة، وواقع معروف، منذ البدايات الأولى للإنسان على الأرض.

فالجدير بالذكر أن القرآن الكريم في كثير من الآيات الكريمة، ذكر أن السحر من أسس شبهات المنكرين، والمعاندين للرسالات السماوية؛ ولذلك لم يستطع الذين أرخوا له وضع حدود زمنية على وجه التحديد، فقد رأوا أنه بعيد الغور في تاريخ البشرية، يرجع إلى ما قبل التاريخ، لقوله تعالى:﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾

ولذلك منذ وجود الإنسان، والرسالات السماوية، وتاريخ السحر الأسود، الذي هو في حقيقته حرب الشيطان وجنوده على بني أدم ؛ ليضل الإنس والجن معًا، فيوقعهما بسببه في أعظم ظلم، جريمة الكفر والشرك بالله تعالى، وذلك بخدع سحرية خفية، عجيبة، في كثير من الأحيان، يختلط فيها الحقيقة بالخرافة أو الحق بالباطل، والظلمة والنور. ولهذا كما سيأتي إن السحر كعمل: لا يدل إلاَّ على الكذب والضلال والفسق والخروج عن طريق الفطرة في خلق الله تعالى، كما يبين عناد واستكبار المنكرين، والكافرين بوجود الله تعالى وبرسالاته، فهم على الرغم من اتباعهم طريق الشيطان في شركه لله تعالى، إلاَّ أنهم يعلمون علم اليقين أنه الكذب والضلال، بدليل ما رموا به الرسل من السحر والكهانة، والجنون.

ومن ثم إن السحر، وما شابهه من كهانة وكذب وضلال، ليس إلاَّ من قبيل الصنائع، التي ترجع إلى التعليم، والتلقين كما دلَّت الآية الكريمة في قوله تعالى﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ

كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾[1]

وعلى ذلك إنه من قبيل التعليم، والتلقين من الشياطين، فكلما ازداد المتعلم له كفرًا وظلمًا ازداد عملاً وأثرًا، قويًا في ظلمات الناس.

ومن ثم هو في حقيقته إتقان للكفر، والتعليم، فمن الجائز أن يكون خارق لعادة الكثير من الناس،ولكن ليس بمعجز فالمعجزة(كما سيتبين) فعل خارق للعادة لا يظهرها الله تعالى، إلاَّ على يد الرسل والأنبياء.

فليس إذن من وجوه للمقارنة بين السحر، الذى هو فعل الكفرة والشياطين وبين المعجزة، التى هى من الله تعالى على يد رسله وأنبياءه لهداية الناس كافة.

كذلك فإن المعجزة، وشروطها لا تنطبق على وصف الساحر من كفر وفسق وفجور. حتى الإهانة والاستدراج، وإن كانتا من خوارق العادات، إلاَّ أنهما لا يأتيا موافقا لدعوى الأنبياء والرسل، ولا من طريقهما في هداية الناس.

فالإهانة تظهر على يد كاذب، وفاسق مفسد للأرض، يدعى النبوة، ويقول" أوحى إليه ولم يوحَ إليه شئ" فيجرى الله تعالى على يديه، ما يدل على كذبه وافترائه، فيعلم الناس بعين اليقين أنه كاذب، فاسق، كما حدث من "مسيلمة الكذاب".

وكذلك الاستدراج، وإن كان أيضا من خوارق العادات، فهو في وصفه لا يدل إلاَّ على الكذب والافتراء والضلال؛ فيجريه الله سبحانه على يد الكافر المدعى للألوهية.

---

(1) البقرة: ١٠٢.

الفصل الأول

تعريف السحر.... والفرق بينه وبين المعجزة

تمهيد

إن من الجدير بالذكر، قبل البدء في شرح حقيقة السحر في الشريعة الإسلامية، وتوضيح الفرق بينه وبين المعجزة، لابد من تفصيل المفهوم اللغوي، والاصطلاحي لهما عند العلماء؛ لتتضح حقيقتهما في الكتاب والسنة النبوية الشريفة، وكذلك لدى العلماء والفقهاء، يوضح ذلك التالي:

المبحث الأول

تعريف السحر في اللغة والاصطلاح

يختلط على كثير من الناس الكرامة والمعونة، بأفعال السحرة والفسقة، وخاصة الذين يدعون الولاية على بعض من عامة الناس، ولذلك فان توضيح السحر في اللغة، والاصطلاح في بداية البحث، يمهد وييسر معرفتهما.

أولا: المفهوم اللغوي للسحر:-

تعددت المعاني لكلمة السحر، فقد اختلفت في اللغة، حسب ضبط الكلمة، والأصل الثلاثي لها(السين-والحاء- والراء)، فيطلق على الرجل، فيقال ساحر من قوم سحرة.

والسحِر: الأُخذُ، وكل ما لطف مأخذه، ودق: فهو سحُر(وفعله، كمنع)، وقد(سَحَرُه) بالفتح (سِحِرًا)بالكسر والجمع(أسحارٌ) و(سُحورٌ) و(سحَرة) يسحُره سحًرا، وسحره أي خدعه[1]

وتأتى أيضًا بمعنى:(صرف الشيء عن وجهه)؛ ولذلك تقول العرب: في الشئ الشديد الخفاء(أخف من السحر)، لقوله تعالى: ﴿ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾[2]=أي

---

(1) لسان العرب: ابن منظور: ط: صادر (بيروت)(الاولى) ج٤: ص٣٤٨(بتصرف).

(2) سورة المؤمنون:آية ٨٩.

تصرفون[1] كذلك: والسَّحَرُ: آخر الليل، قبيل الفجر. قال تعالى: ﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴾[2]

كما تأتي هذه الكلمة (السحر) بمعنى طرف الحلقوم، والرئة، فقيل انتفخ(سَحَرٌ)[3]

ومن معاني السحر: البيان في الكلام، فيقال(جاء فلان بالسحر في كلامه)، وفي الحديث(إن من البيان لسحًرا)[4] أي يمدح الإنسان، فيصدق لدرجة سحر قلوب السامعين إليه، كذلك يذمه، فيصدق، حتى يصرف قلوبهم عنه.[5] وإن كان على غير حق؛ ولذلك قيل:" إن من البيان ما يكسب من الإثم ما يكتسبه الساحر بسحره، ويكون في معرض الذم" ويجوز أن يكون في معرض المدح؛ لأنه تستحال به القلوب، ويرجى به الساخط، ويستزل به الصعب. وإن كنت أرى أن ذلك من قبيل التشبيه، والمبالغة، لا من قبيل الحقيقة؛حيث إن للسحر حقيقة أخرى.

ومن بين مفهوم السحر اللغوي كلمة(عِضِية) لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴾=[6]

ذكر ابن كثير في تفسيره لهذه الآية الكريمة إن العّضة: السحر بلسان قريش، تقول للساحرة: أنها العاضهة،"وعضوه":"سحر"، وقالوا: "كهانة"، أو" كاهن"، وقال

النهاية في غريب الحديث والأثر:ط دار المعارف:ج٢: ص٣٤٦(بتصرف).)[3](

القمر:آية ٣٤.)[4](

المفردات في غريب القرآن: الأصفهاني: ط دار المعرفة (بيروت) ص٢٢٥(بتصرف).) [5](

جزء من حديث في : صحيح البخاري:كتاب النكاح: باب الخطبة: ١٩٧٦/٥.([4])

تابع القاموس المحيط: الفيروزآبادي: ج٢: ص٤٥.([5])

الحجر:آية ٩١.([6])

بعضهم:" مجنون"[١] و" المستعضهة" "الساحرة" وسمى" السحر" " عضها"؛ لأنه كذب وتخييل لا حقيقة له[٢] .

كذلك من بين ما ذكر في معاني السحر كلمة(المطبوب)، كما جاء في السنة النبوية الشريفة، أن المطبوب، المسحور.

روى عن رسول ﷺ كما سيأتي تفصيله:(.....فقال أحدهما لصاحبه ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوب قال: من طبه؟)[٣].

والطب السحر، وهو من الأضداد.[٤]. وقد وردت بمعنى الجنون، قال تعالى:﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾[٥]=وتأتى بمعنى العلم، والساحر: بمعنى العالم ومنه قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾[٦] فقيل: أن السحر كان علمًا مرغوبا فيه، فقالوا له: يا أيها الساحر على جهة التعظيم له.[٧]

ثانيا: المفهوم الاصطلاحي للسحر:

لقد تعددت، واختلفت تعريفات السحر بين العلماء؛ ذلك لأنه كما سيأتي تفصيل ذلك:

تابع تفسير القرآن العظيم: ابن كثير: ط الكليات الازهرية (٥٤٩/٤).(١)

تابع: في غريب الحديث والأثر: ج٣: ص٢٥٥– الأعلام ج١: ص٣٢.(٢)

جزء من حديث صحيح البخارى(٢١٧٥/٥)–كتاب الطب، باب هل يستخرج السحر حديث رقم(٥٤٣٢).(٣)

مشارق الأنوار القاضى ابى الفضل عياض المالكى: ط المكتبة العتيقة: ج١: ص٣١٧(بتصرف).(٤)

الزخرف: آية ٤٩.(٥)

الزخرف: آية ٤٩.(٦)

تابع لسان العرب:(٣٤٩/٤).(٧)

أولا: اسم لكل أمر خفي، وتخيل، وخداع؛ ومن ثم كان الحديث فيه على حسب تصور الفقهاء،والمفسرين له، وفهمهم بقدر مدلوله لهم، على حسب تعدد معانيه. ولذلك لا يوجد تعريف قائم على التصور الشامل له في مدلولاته الدقيقة، والخفية.

ثانيا: اختلاف وتعدد مفهومه اللغوى؛ ولذلك قيل: أن السحر في الاصطلاح: لا يمكن حده، بحد جامع لكثرة الأنواع المختلفة، الداخلة تحته، وليس هناك قدر مشترك بينها، بحيث يكون جامعًا من جهة، ومانعا من أخرى، وعلى ذلك- كما سيأتى- اختلفت، وتعددت عبارات العلماء في تعريفه، اختلافا متبايناً. وعلى قدر المتاح لى سأذكر بعضًا من هذه التعريفات:-

الأول: في اصطلاح بعض المفسرين:

١- ذكر الإمام الطبرى[١] (رحمه الله تعالى): إن السحر : أصله التمويه بالحيل والتخاييل، وهو أن يفعل الساحر أشياء ومعانى، فيخيل، للمسحور أنها بخلاف ما هى به، كالذى يرى السراب من بعيد، فيخيل إليه أنه ماء، يقولون:(كالسراب غَرَّ من رآه وأخلف من رجاه). وقيل: هو مشتق من سحرت الصبى، إذا خدعته.وقيل: أصله الصرف، يقال: ما سحرك عن كذا، أى ما صرفك عنه. وقيل: أصله الإستماتة، وكل من استمالك فقد سحرك.[٢]

([١])الطبرى هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الامام أبو جعفر الطبرى ولد(٢٢٤هـ)، من مؤلفاته: "جامع البيان في تفسير القرآن" " اختلاف الفقهاء" "الذيل التابع لإتحاف المطالع"، وفاته(٣١٠هـ)، كان من آئمة الإسلام علمًا وعملاً بكتاب الله تعالى(تابع البداية والنهاية ١٤٦/١١،الاعلام ٦٩/٦)

ج

([٢])تابع جامع البيان عن تأويل آى القرآن: الإمام الطبرى: ط دار الفكر العربى(بيروت)ج١- ص٤٥١، ٤٥٩ (بتصرف)

٢- وذكر الإمام الألوسى[١](رحمه الله تعالى) في تفسيره، أن السحر المراد هو أمر غريب يشبه الخارق(وليس بخارق) إذ يجزى فيه التعلم،ويستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشيطان، بارتكاب القبائح، قولاً كالرقى، التى فيها ألفاظ الشرك،ومدح الشيطان وتسخيره، وعملاً كعبادة الكواكب والتزام الجناية، وسائر الفسوق، واعتقادًا كاستحسان ما يوجب التقرب إليه، ومحبته إياه، وذلك لا يستتب إلاَّ بمن يناسبه في الشرارة، وخبث النفس.

فإن التناسب شرط التضامن والتعاون، فكما أن الملائكة لا تعاون إلاَّ أخيار الناس المشبهين بهم في المواظبة، على العبادة، والتقرب إلى الله تعالى بالقول، والفعل، كذلك الشياطين لا تعاون إلاَّ الأشرار المشبهين بهم في الخباثة، والنجاسة قولا وفعلاً واعتقاداً[٢]

الثانى: تعريف السحر فى مفهوم بعض من علماء الفقه والعقيدة:

١- السحر هو عقد، ورقى ، وكلام يتكلم به، أو يكتبه أو يعمل شيئاً يؤثر في بدن المسحور، أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له.[٣]

([١])الألوسى هو محمد بن عبد الله الحسينى الألوسى شهاب الدين، أبو الثناء مفسر ومحدث، وأديب من المجددين، من أهل بغداد، ولد في سنة ١٢١٧هـ، كان سلفي الاعتقاد، مجتهدًا، تقلد الإفتاء بها سنة ١٢٤٨هـ، وعزل فانقطع للعلم، توفي سنة ١٢٧٠هـ.-تابع: الأعلام: ج٧ ص٧٦.

ج

([٢])روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم، والسبع المثانى: الإمام الألوسى: ط دار إحياء التراث العربى(بيروت): ج١ص٧٣٣.

ج

([٣])المغنى فى فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدس أبو محمد: ط دار الفكر بيروت: ١٤٠٥هـ(الأولى): ج٩: ص ٣٤ .(بتصرف)

ج

٢- السحر هو حيل صناعية، يتوصل إليها بالتعلم، والاكتساب، غير أن لخفائها، ودقتها لا يتوصل إليها إلاَّ آحاد الناس، فيندر وقوعها، وتستغرب آثارها لندروها، ومادته الوقوف على خصائص الأشياء، والعلم بوجوب تركيبها، وأزمان ذلك، وأكثره: خيلات لا حقيقة لها، وإيهامات لا ثبوت لها. فتعظم عند من لا يعرفهاوتشتبه عند من لا يقف عليها. ولذلك قال تعالى: ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾[1]، مع أنه كان في عين الناظر إليه عظيمًا، قال تعالى﴿ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾[2]فإن الحبال والعصى لم تخرج عن حقيقتها وذلك بخلاف عصا موسى(عليه السلام)، فإنها انقلبت ثعبانا مبينا، خرقا للعادة وإظهارًا للمعجزة[3].

٣- السحر مركب من تأثيرات الأرواح الخبيثة، وانفعال القوى الطبيعية عنها.[4]

٤- هو نوع يستفاد من العلم، بخواص الجواهر، وبأمور حسابية في مطالع النجوم، فيتخذ من تلك الجواهر هيكلًا على صورة الشخص المسحور[5]، ويرصد به وقتًا مخصوصًا من المطالع، وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر، والفحش المخالف

---

(1)طه:آية ٦٦.

ج

(2)الأعراف: آية ١١٦.

ج

(3)تابع المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: ج٥:ص٥٦٨(بتصرف).

ج

(4)الطب النبوى: محمد بن أبى بن أيوب الدمشقى: ط دار الفكر بيروت- تحقيق عبد الغنى عبد الخالق: ج١:ص١٠٠(بتصرف).

(5)إحياء علوم الدين: الإمام أبو حامد الغزالى: ط دار التراث العربى: ج١: ص٥٠(بتصرف).

للشرع، ويتوصل بسببها إلى الاستعانة بالشياطين، وتحصل من مجموع ذلك بحكم إجراء الله تعالى، أحوال غريبة فى الشخص المسحور.

والكثير من التعريفات التى تشمل فقط جانباً، من الأعمال السحرية، وسوف يتضح إن شاء الله تعالى كل هذه التعريفات وغيرها. وإن الجامع لحقيقة السحر أنه من العلوم المذمومة، والضارة، والأساس فيه العمل على نهج الشيطان الرجيم، والاستحضار للشياطين، وذلك بأفعال خفية، ودقيقة: تنبنّى على عقد ورقى،وطلسمات، واستغاثات شركية، ورقى فيها بكفر، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾[1]

والاستمتاع المقصود في الآية الكريمة، أن كل واحد مستمتع بصاحبه، فاستمتاع الجن من الإنس: أنهم تلذذوا بطاعة الإنس لهم، كما تلذذ الإنس بهم، حتى فعلوا الحرام، والكبائر من الذنوب، بإغواء الجن والشياطين إياهم. ولذلك قيل: كان الرجل إذا مرَّ بسواد في سفره، وخاف على نفسه، قال: " أعوذ برب هذا الوادى من جميع ما أحذر. وهذا من الإشراك العظيم بالله تعالى؛ ومن ثم فاستمتاعهم باتخاذهم أولياء من دون الله تعالى، بأن الجن يقدرون أن يدافعوا عنهم ما يحذرون.[2]. ولذلك قيل أيضًا: من وجوه الاستمتاع ما كانوا يلقون لهم من الأراجيف والشرك، والسحر، والكهانة، وما يزينون لهم الضلالة.

([1])الأنعام: آية ١٢٨.

([2])تابع تفصيل ذلك فى الجامع لأحكام القرآن: الإمام القرطبى: ج٧: ص٨٣(بتصرف).

وكذلك استمتاع الإنس بهم بما يتوهمون أنه نافع لهم، ويسهل سبيله من مطالبهم الشركية[١]، وإخبارهم كما يتوهمون بعض من المغيبات، ومن المنافع الدنيوية. وعلى كل فإن من أشد استمتاع الشياطين هو صرف الناس عن طاعة الله تعالى، والاشراك بالله تعالى.

ومن الجدير بالذكر بعد ما تقدم: أن السحر علوم مذمومة تتأسس على الشرك والكفر، والضرر والشر. في حقيقتها ليست من خوارق العادات، لأن ذلك مصدرها وأساسها؛ ولأنها تكتسب بالتدريب، والتعلم من بعض الناس، بالاتصال بأرواح الشياطين. يستطيعون، بإذن الله تعالى الضرر بأفعال خفية، ذات تأثير على بدن المسحور أو قلبه، أو عقله، بمباشر العمل على عقد، ورقى وكلام يتكلم به الساحر.

---

(١)تابع معالم التنزيل: الحسين بن مسعود بن البغوى: ط(طيبة) ١٤١٧هـ-الرابعة: ج٣: ص ١٠٨٨.

المبحث الثاني:

تعريف المعجزة لغة واصطلاحا:

تمهيد:

لقد أيد الله تعالى رسله وأنبيائه(عليهم السلام) بآيات بينات؛ لتدل الناس على صدقهم، وعلامة كبرى من علامات اصطفاء الله تعالى لهم، وحجج ساطعة على صدق الصادق، وكذب الكاذب وهى خصوصية لهم،يعجز البشر كلهم عن الإتيان بمثلها، أو ببعض منها.

ومن ثم فلمَّا عجزوا عن معارضتهم بالإتيان بمثلها، لزمتهم الحجة في وجوب صدقهم، ووجوب طاعتهم. فالمعجزة من لدن حكيم خبير قدير عليم، قال تعالى في معجزة سيدنا إبراهيم (عليه السلام)﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[١] وكانت معجزة موسى(عليه السلام) في مواجهة السحر الذى اشتهر في عصره بالحقيقة فى مقابل تخييل السحرة، قال تعالى﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾=[٢] وكان عليه السلام له معجزات كبرى كثيرة، كذلك أيضًا من معجزات الأنبياء والرسل، معجزة سيدنا عيسى(عليه السلام)، بإحياء الموتى، وإبراء الأكمه،والأبرص بإذن الله تعالى، قال الله تعالى﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لَّكُمْ إِن

---

(١)الأنبياء :آية ٦٩.

(٢)الاعراف: آية ١٠٧.

كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾=[١] والمعجزة الكبرى معجزة رسول الله محمد(ﷺ) الباقية إلى يوم القيامة، لمن على الأرض جميعًا: القرآن الكريم قال الله تعالى ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾=[٢] وقال تعالى﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾=[٣] والكثير من المعجزات التي كانت للحبيب المصطفي، ومن الجدير بالذكر أن معجزات الأنبياء، ليست مجرد نازلة عليهم لمجرد أنهم أنبياء ورسل، لكن كانت لحكم وبراهين عظيمة، من جنس ما نبغ به قومهم، وما اشتهرت به عصورهم، إلاَّ سيدنا محمد(ﷺ)، فلأنه خاتم الرسل والأنبياء فمعجزته قائمة من جنس كل زمن، من لدن سيدنا محمد(ﷺ) إلى أن يرفع الله تعالى القرآن الكريم من الأرض، قال تعالى:﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ ﴾ [٤]

أولا: المعجزة في اللغة:

---

(١)آل عمران: آية ٤٩.

(٢)البقرة:آية ٢٣،٢٤.

(٣)الإسراء: آية ٨٨.

(٤)فصلت:آية ٥٣.

مشتقة من العجز المقابل للقدرة، وحقيقته إثبات العجز في الغير، وقد أسند مجازًا إلىٰ ما هو سبب العجز، وجعل اسمًا له، والمعجزة واحدة هي معجزات الأنبياء(عليهم السلام)، وإعجاز الأمور أواخرها وعجز الشيء آخره يذكر ويؤنث.[١]

والمُعْجِزُ في اللغة: مأخوذ من العَجُزِ، وفي الحقيقة لا يطلق علىٰ غيرَ الله تعالىٰ، لكونه خالق العَجْز.

ومن ثم قيل أن تسمية غيره معجًزا : كفلق البحر، وإحياء الميت، وإبراء الأكمه، والأبرص، فإنما هو بطريق التجوز، والتوسُع حيث إنه ظهر تعذر المعارضة، والمقابلة من المبعوث إليه، عند ظهوره، وإن لم يكن هو الموجب لذلك؛ تسمية للشيء بما يدانيه، وما هو منه بسبب، وذلك كما في تسمية مخلوقات الله تعالىٰ دلالة عليه؛ لظهور المعرفة بالله (تعالىٰ) عند ظهورها، وإن لم تكن في الحقيقة دالة، إذ الدال في الحقيقة هو ناصب الدليل، وهو الله (تعالىٰ)، والمخلوقات إنما هي أدلة.

ومن ثم فإن الخارق الذي يتعذر الإتيان به، قد يكون غير مقدور للبشر، كخلق الأجسام،والألوان،وإحياء الموتىٰ، ونحو ذلك. وعلىٰ ذلك قيل: المعجزة عبارة عن كل ما قصد به إظهار صدق المُدَّعي للرسالة عن الله تعالىٰ[٢]. ومن الجدير بالذكر: أن الإعجاز، إثبات العجز، استعير لإظهاره.ثم أسند مجازًا إلىٰ ما هو سبب العجز، وجعل أسماً له.

ثانيا: المعجزة في الاصطلاح:

هي أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي وعدم المعارضة، وقيل: أمر قصد به إظهار صدق من ادعي النبوة، والرسالة. وزاد بعضهم: قيد موافقة الدعوى. وبعضهم:

---

(١)لسان العرب: ج٥:ص ٣٧٠(بتصرف).تابع إبكارالأفكار في أصول الدين: الآمدي: تحقيق ا.د/أحمد محمد مهدي: ج٤: ص١٧(بتصرف):ط:دار الكتب والوثائق(القاهرة)

(٢)الأنبياء :آية ٦٩.

مقارنة زمن التكليف، إذ عند انقراضه تظهر الخوارق، لا لقصد التصديق. وإنما قال: بأمر ليتناول الفعل، كانفجار الماء من بين الأصابع وعدمه، كعدم إحراق النار. ومن اقتصر على الفعل، جعل المعجز هاهنا كون النار﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[١]،وبقاء الجسم على ما كان عليه من غير إحتراق. واحترز بقيد المقارنة، للتحدى عن كرامات الأولياء، والعلامات الإرهاصية، التى تتقدم بعثة الأنبياء. وعن أن يتخذ الكاذب معجزة من الأنبياء حجة لنفسه، وبقيد عدم المعارضة عن السحر، والشعبذة، كما ذكر الإمام الرازى.[٢]

ثالثا: شرائط المعجزة:

الأول: أن تكون من فعل الله (تعالى)، وخلقه، أو قائمة مقام فعله.

ويقصد من فعل الله تعالى: أى أنها تدل على صدقه، من جهة نزولها منزلة التصديق، بالقول من الله (تعالى)، أى لابد أن يكون خارقًا للعادة؛ لأنه منزل من الله (تعالى)، وما لا يكون خارقًا للعادة، بل هو معتاد الوقوع، فلا يكون ذلك دالاً على الصدق، ولكان النبي مساويًا لمن ليس بنبي في ذلك، كما سيأتى في الشرط الثانى.

الثانى: أن تكون خارقة للعادة، وأن يتعذر على المبعوث إليه.المعارضة

إذ لا إعجاز بدونه، وشرط قوم في المعجز أن لا يكون مقدورًا للنبى، إذ لو كان مقدورًا له، لم يكن نازًلا منزلة التصديق من الله تعالى، وليس بشئ، وعمومًا أن قدرة النبي

---

(١)الانبياء :آية ٦٩.

(٢)شرح المقاصد: سعد الدين التفتازانى: ج٣: ص٢٧٣-٢٧٤ (بتصرف): ط دار الكتب العلمية(بيروت- لبنان). وتابع: المطالب العالية من العلم الإلهى: الإمام فخر الدين الرازى- ج٨: ص٢١-٤٢ ط الكليات الأزهرية.(بتصرف).

مع عدم قدرة غيره عادة معجزة(كما قيل) أن تكون ظاهرة مع دعوى النبوة، وعلى وفق دعواه.

فلو قال : أن معجزتي أن أحيي ميتًا، ففعل خارقًا آخر، لم يدل على صدقه، لعدم تنّزله منزلة تصديق الله إياه.

الثالث: أن تكون مقارنة لدعواه غير مكذبة له، ولا متقدمة عليها وفي تأخرها بزمان يعتد به خلاف (كما قيل) ويعني ذلك:

أن كل خارق ظهر على يد النبي، قبل بعثته، فهو من باب الكرامات والأنبياء قبل البعثة، لا يخرجون عن درجة الأولياء، وظهور الكرامات على أيدي الأولياء جائز، عند أهل السنة والجماعة، والجمهور من العلماء، والمحدثين. أما لو تأخرت بزمان يعتد به، كيوم، أو شهر، أو سنة وما زاد، ثم ظهرت المعجزة الخارقة، على وفق ما ادعاه، فلا خلاف أيضًا عندهم، في ثبوت النبوة، عند ظهور المعجزة، لكن لا تثبت لما قبله لمجرد الدعوى. [١]

هكذا يتبين أن المعجزة: تقتضى الصدق في دعوى النبوة، وما يتعلق بها من التبليغ، وشرعية الأحكام.فما يتوهم صدوره من الأنبياء من القبائح، يستحيل مع عصمتهم، بكونهم أنبياء، سواء كان من قبل بعثتهم، أم بعدها، وسواء كان ذلك من الكبائر، أو الصغائر المنفرة، أو غير منفرة، كل ذلك إما عمدًا أو سهوًا، على اختلاف العلماء. ولذلك فإن جمهور العلماء ترى بوجوب عصمتهم، عن كل ما ينافي مقتضى المعجزة؛ وذلك لنيلهم النبوة؛ لقوله تعالى:﴿ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [٢]

([١])تابع أبكار الأفكار: ج٤: ص١٨–٣٢(بتصرف)، وتابع كشاف اصطلاحات الفنون: ج٢: ص١٥٧٥:١٥٧٧(بتصرف).

([٢])البقرة: آية ١٢٤.

حق المعجز عند المعتزلة:

قال القاضي عبد الجبار:«وأعلم أن من حق المعجز أن يكون واقعا من الله تعالى حقيقة أو تقديرا، وأن يكون مما تنتقض به العادة، المختصة بمن أظهر المعجز فيه، وأن يتعذر على العباد فعل مثله في جنسه أو صفته، وأن يكون مختصا بمن يدعي النبوة، على طريقة التصديق له، فما اختص بهذه الصفات وصفناه بأنه معجز من جهة الاصطلاح»[١]

المبحث الثالث

مجمل خوارق العادات والفرق بينها وبين المعجزة

تمهيد

من الجدير بالذكر توضيح خوارق العادات، حيث إن الكرامة، من جنس المعجزة؛ ولكن ليست بقدرها إذ أن الكرامة: اسم يوضح التكرم والإكرام.

ولا تظهر إلاَّ من أولياء الله تعالى، والعارفين به سبحانه وتعالى؛ ولذلك قيل: أنها على رغم أنها من خوارق للعادات، إلاَّ أنها بلا دعوى النبوة، ولا قصد ولا إرادة من العارفين بالله تعالى قبلها، كقصة السيدة مريم، وأصحاب الكهف، وما تواتر جنسه من الصحابة، والتابعين.

ومن ثم فان الكرامة لا تقارن دعوى النبوة، لكن تزيد جلالة قدر الأنبياء لدى الناس، ببركة الإقتداء بهم. ولذلك لا تعطى إلاَّ لمن واظب على الطاعات، المجتنب

المغني في أبواب التوحيد والعدل: إملاء القاضي أبي الحسن عبد الجبار ابن أحمد الهمذاني الأسد أبادي المتوفى سنة ٤١٥هـ([١])

صـ الخامس عشر(النبوات والمعجزات) تحقيق د/ محمود الخضيري ود/ محمود محمد قاسم، مراجعة د/إبراهيم مدكوروإشراف

د/طه حسين: ط الدار المصرية: صـ (١٩٩).

للمعاصي، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات[١]. ولقد وضح الإمام ابن تيمية الكثير من التفرقة بينهما حيث رأى أن النبي: وجب قبول كل ما يقول؛ لكونه نبيًا دلَّت المعجزة على صدق نبوته، كذلك فإن النبي معصوم من الخطأ، وينشر الخير والصلاح والسلام بين الناس. أما الكرامة: لا تكون إلاَّ من الصالحين، الذين هم على نهج النبوة، والذين يدعون إلى طريق الأنبياء، ولا يخرجون عن نهجهم. فلا تبلغ الكرامات، مهما كانت، مثل معجزة من معجزات الأنبياء. كما أنهم لا يبلغون في الفضيلة، والثواب إلى درجاتهم، كما أن الكرامة لا تدل على عصمة العارف بالله تعالى، كالمعجزة تدل على الأنبياء وعصمتهم.[٢]

قال الله تعالى﴿ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾[٣] وقال سبحانه وتعالى عن الأولياء:﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾[٤]

وقد تظهر الخوارق من قبل عوام المسلمين، تخليصًا لهم من المحن والمكاره، وعندئذ تسمى(معونة). كذلك من المهم أيضًا الحديث عنه:"الإستدراج" و" الإهانة"؛ لتأكيد

---

(١)شرح المقاصد : التفازاتني: ط:دار الكتب العلمية(بيروت-لبنان): ج٣:ص٣٢٧،٣٢٦(بتصرف).

(٢)تابع النبوات: ابن تيمية: ط (المطبعة السلفية) سنة١٣٨٦هـ ج٣: ص٦(بتصرف).

(٣)التكوير:آية ٢١-٢٥.

(٤)يونس: آية ٦٢.

تكذيب المدعى بالنبوة، والألوهية. وعلى ذلك أجمع العلماء أن الخوارق للعادات خمسة أنواع، هم:

أولا: الإرهاص والمعجزة:

١- الإرهاص، من الرهص،أى الأساس والتمهيد للمعجزة، وهو أمر خارق للعادة، يظهره الله تعالى على الأنبياء والرسل قبيل بعثتهم، تمهيدًا، وتأسيسًا لهذه البعثة، مثل تظليل الغمام له(ﷺ) قبل البعثة.

٢- المعجزة: هى أمر خارق للعادة (كما سبق) مقرون بالتحدى، يظهره الله تعالى على يد الأنبياء والمرسلين، وهو مقرون بالتحدى والقصد، للإحتراز به عن الإرهاص والكرامة.

ثانيا: الكرامة

هى أمر خارق للعادة، يظهره الله تعالى على يد عبد ظاهر الصلاح، غير مدعى النبوة ومن غير قصد إليها، وهذا ما يفرقها عن المعجزة(كما سبق).

ثالثًا: المعونة:

هى أمر خارق للعادة، يظهره الله تعالى على يد عبد من العوام، أو على بعض الناس ليخرجه أو ليخرجهم الله تعالى، من شدة أو مكروه

رابعًا: الإهانة:

هى أمر خارق للعادة، يظهره الله تعالى على يد كاذب، ادعى النبوة، على خلاف ما قصده، كما حدث مع مسيلمة الكذاب، عندما تفل في عين أعور، ليبرأ عينه، فعميت الأخرى.

خامسا: الاستدراج:

هى أمر خارق للعادة، يظهره الله تعالى على يد فاسق، مدعى الألوهية فيستدرجه الله تعالى، إلى ما يوضح كفره.

وهكذا قد تبين مما سبق:

أن المعجزة ليست من متعلقات قدرة العباد، التى خلقها الله تعالى لعوام الناس؛ ومن ثم عرفت بأنها من فعل الله تعالى لخواص عباده، الذين هم الأنبياء والرسل(عليهم السلام) تشمل القول، كالقرآن الكريم،الذى تحدى به(ﷺ)، فعجزوا عن الإتيان بأقصر سورة فيه، وتشمل الفعل: كنبع الماء من أصابع الرسول (ﷺ) وتشمل الترك، كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم(عليه السلام) لتدل على الرسالات السماوية؛ ومن ثم فليست في قدرة البشر وإرادتهم، ولا مما يتلقى بالتعليم.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾[1] كذلك فإن المعجزة يتعذر معارضتها، ومن جنس دعوة الأنبياء (عليهم السلام)، وموافقة، ومقارنة لدعوتهم، إلاَّ معجزات وآياته (ﷺ)، فمن الجدير بالذكر اختلافها عن معجزات الأنبياء السابقين.(كما سبق)

حيث إن معجزاتهم من جنس ما برع فيه قومهم، ومحدودة بزمانهم ومكانهم. أما سيدنا محمد(ﷺ) معجزاته وآياته باقيات، وشاملات في كل الأزمنة إلى يوم القيامة، ولكل الناس على الأرض. ولا يتسع المقام للتحدث عن تفصيل ما اختص به(ﷺ) من آيات ومعجزات وإن القرآن الكريم، و السنة النبوية من آيات،وحياته (ﷺ) من فضائل، وأنوار، وما حدث له في الإسراء والمعراج.... وغير ذلك مما لا يحصره حديث العلماء في كل زمان ومكان. فمع التغير في العالم، والارتقاء بين الناس تبقى معجزاته وآياته(ﷺ)، واضحة على صدق رسالته(ﷺ) قال الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[2]

الفرق بين السحر والمعجزة والكرامة:

---

(1)الأنعام : آية ١٠٩.

(2)فصلت:آية ١٠٩.

مما سبق يتضح أن من البداهة، والضرورة العقلية سمو وعلو معجزة الأنبياء، وأنه لا تشابه قط بينهما وبين السحر، هذا يبين خطأ المعتزلة عندما أنكرت حقيقة السحر الواضحة، كمًّا لم يستطيعوا التفرقة،بينه وبين المعجزة يبين ذلك النقاط التالية:

أولا: المعجزة لمن اختصهم الله تعالى لهداية البشر، وليخرجهم الله تعالى من الظلمات إلى النور.

ومن ثم (كما سبق) ليست بأمر خارق للعادة فقط، بل مقرون بالتحدى، بمثله، وضح فيه صدقهم، بهذه الآيات السماوية التى تتنزل عليهم من الله تعالى.

والكرامة: التى هى اسم تكريم الأولياء من عباده الصالحين، على الرغم من أنها خارقة للعادة(كما سبق)، لكنها ليست بقدر، ولا بمثل المعجزة، كذلك هى تخص المكرم بها وأحواله؛ ولذلك فليست مقرونة بالتحدى، فإنها ليست برسالة، بل هبة ومنحة من الله تعالى. وهى مع ذلك من جنس المعجزة؛لأنها خارقة للعادة لتكريم الله تعالى عباده الصالحين، وعلى نهج الأنبياء والرسل(عليهم السلام)

أما السحر: هو علم يكتسب بالتعليم، والصناعة، والتدريب لقوله تعالى: ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾[(١)]

وقال تعالى﴿ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾[(٢)]

وقال تعالى﴿ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[(٣)]

---

(١)البقرة: آية ١٠٢.

(٢)طه: آية ٦٩.

(٣)يونس: آية ٨١.

ولذلك يستطيع أن يأتى بالسحر أى إنسان كفر بالله تعالى بالتعليم، إذا أراده، وسلك طريقه، على نقيض المعجزة التى خصها الله تعالى فقط، لمن اصطفاهم الله تعالى من عباده

ثانيا: المعجزة تنزل من السماء إلى الرسل والأنبياء. بإذن الله تعالى؛ ومن ثم فهم(عليهم السلام) بإمدادٍ ونصر من الله تعالى. أما السحرة فهم على خلاف ذلك تمامًا، فهى من ظلمات أنفسهم، وبإمداد من الشياطين سواء كان ذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

ثالثا:المعجزة لا يمكن إبطالها أبداً، فلا يستطيع إنسان قط مهما أوتى من قوة شيطانية، أن يؤثر عليها بشئ، من ظلمات نفسه، أو على الأنبياء والرسل(عليهم السلام). على نقيض ذلك نجد أن أى مسلم مؤمن قوى العقيدة يستطيع بآيات من القرآن الكريم، وما يتلوه من الأدعية المروية عن رسول الله(ﷺ)، وقوة يقينه بالله تعالى أن يبطل سحرهم مهما كان بإذن الله تعالى.

رابعا: أن السحر لا يعرفه، ويصنعه إلاَّ الفاسق الكافر؛ ولذلك لا يفعل إلاَّ الشر، والظلمات بالناس، ولا يفرق في ذلك بين صديق وعدو، فكلهم في ظلماته السحرية سواء.

خامسا: أن السحر كما سبق- سيبطل بصدق الإيمان، وبآيات وبذكر الله تعالى، فلا بقاء له مع صدق العقيدة بالله تعالى. أما المعجزة فهى باقية، ومستمرة، يستوى ذلك بين رسول الله(ﷺ)، والأنبياء قبله بالقصص الكريم فى القرآن العظيم؛ ولذلك فلا مكان للسحرة إلاَّ بين ضعاف العقول، وجهلة الناس، ومن يريد طريق الضلال.

سادسا: كما رأى الإمام "ابن تيمية" أن النبى معصوم، ومعجزاته دلَّت على نبوته، ومتباينه وضحت دينه؛ولذلك وجب قبول كل ما يقول؛ لكونه نبيًا ادعى النبوة، ودلَّت المعجزة على صدقه، أما الكرامة:لا تكون إلاَّ من الصالحين، الذين هم على نهج النبوة،

الذين يدعون إلى طريق الأنبياء، لا يخرجون عنها، وأنها أيضًا بمنزلة ما تقدم الأنبياء من إرهاصات، فالأولياء دون الأنبياء. فلا تبلغ كرامات أحد قط مثل معجزات المرسلين، كما أنهم لا يبلغون في الفضيلة، والثواب إلى درجاتهم. وأن كرامات الأولياء تدل على صحة الدين، الذى جاء به الرسول، لكن لا تدل على أن الولى معصوم، ولا على أنه تجب طاعته في كل ما يقوله.[١](كما سبق ذلك).

ومصداقاً لذلك قوله تعالى﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ﴾=[٢]

قال الله تعالى﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾[٣] =

أما السحر هو أعمال شيطانية تجمع مع الكفر بالله تعالى، والشرك، والظلم والعدوان على الناس. ومن أدرك حقيقته وغايته علم أنه ظلمات بعضها فوق بعض، ظلمة الشرك بالله تعالى، وظلمة التسلط الشيطاني وظلمة الكذب، وظلمة الفسوق[٤] ظلمات تنفر منه القلوب، والفطر السليمة، فضلاً عن المسلم الصحيح الإيمان؛ ولذلك

---

(١)تابع: النبوات: ابن تيمية: ج١:ص٦(بتصرف).

(٢)التكوير : آية ١٩-٢٥

(٣)يونس: آية ٦٢.

(٤)تابع أحاديث السحروالرقية فى الكتب الستة: طبع على نفقة أهل الخير ص٢٣٩(بتصرف).

فالساحر والمؤمن له هما في النار، لقوله تعالى﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾[1] =

أما الأنبياء معصومون من الكذب، والفسق، والكفر، والظلم، فإن ظاهرهم هو باطنهم من كمال الصفات الحميدة، والأخلاق الربانية.

سابعا: أن مكاشفات السحرة، ليست من قبيل الخوارق كالمعجزة؛ فإن الساحر كلما كانت نفسه مظلمة وكفره أعظم كلما أتقن تعلم طرق السحر، وبالاتصال المباشر مع الشياطين. يتحدث عن ذلك الإمام "ابن القيم" (رحمه الله)، فيرى أن الكشف الجزئى المشترك بين المؤمنين، والكفار، والأبرار والفجار، كالكشف عما في دار إنسان، أو عما في يديه، أو تحت ثيابه....كذلك ما غاب عن العيان.

فإن ذلك يكون من الشيطان تارة، ومن النفس تارة؛ ولذلك يقع من الكفار كالنصارى، وعابدى النيران والصلبان، فقد كاشف ابن صياد النبي(ﷺ) بما أضمر له، وخبأه، فقال له رسول الله(ﷺ)(إنما أنت من إخوان الكهان)؛ وكذلك مسيلمة الكذاب مع فرط كفره، كان يكاشف أصحابه، بما فعله أحدهم في بيته، وما قاله لأهله، يخبره به شيطانه؛ ليغوى الناس... والكثير من ذلك الطريق.[2] قال تعالى﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾[3].

وأشير كما هو واضح للناس كافة أن مصلحة الأنبياء الخير للناس كافة؛ أما عمل الساحر من باب نيل المصالح الدنيوية، ولتعظيمه وتقديسه عند الناس. وعلى ذلك فإن ما تخبره الشياطين للسحرة والكهان، هو في حقيقته ليس بغيب، حيث إنه لبعض

---

(١)البقرة: آية ١٠٢.

(٢)مدارج السالكين: ابن قيم الجوزية: ط دار الحديث: ج٣: ص٢٢٧.(بتصرف)

(٣)الشعراء : آية ٢٢٣،٢٢١،٢٢٢.

من الأمور، بما يأكلون ويدخرون....وهكذا، وأنهم في كثير من الأمور يكذبون، والأكثر يقفون عاجزين عن الإخبار، على وجه الخصوص لمن حافظ على أذكاره، وسمّى الله تعالى في كل أموره وأحواله.

وقفة جديرة بالذكر حول رأي المعتزلة في خوارق العادات:

في الواقع أن المعتزلة لتفريطها في حكم العقل حول الشرع والمسائل الكلامية لم تفرق بين خوارق العادات، ولذلك كان جدالها فيه الكثير من التناقض والخلاف، حيث إن في نقضها لم تفرق بين خوارق العادات كمعجزة من الله سبحانه وتعالى، وبين ما يندرج تحتها من كرامات للصالحين، وأيضا بين الاستدراج، والسحر الذي هو من التلقين والتعليم والكفر....وبين المعجزات.

وعلى سبيل المثال: في أثناء ردودها على من جوز ظهور المعجزة على الصالحين:«...فإن قالوا: إن إن الذي يجوز عليهم هي الكرامات دون المعجزات. قيل لهم: ما الذي تريدون بالكرامات؟ فلا يخلوا قولهم من أن يرجعوا إلى ما ينقض العادة، كما قلناه في المعجزات، فيؤول الخلاف فيه إلى عبارة؛ لأننا قد بينا أن ذلك لا يصح؛ فاختلاف العبارات لا يؤثر فيه، وإن أرادوا بذلك مالا ينقض العادات فهذا مما يجوز ظهوره على الصالحين فضلا عن الطالحين؛ لأنه قد يكون بمنزلة المرض والصحة والغنى والفقر والأمطار والزلازل. فإن قالوا: نعني بالكرامات ما تقصر مرتبته عن المعجزات؛ فقد بينا من قبل، أن الصغير من ذلك في حكم الكبير، وأنه لا معتبر بالصغر والكبر، فليس لهم أن يقولوا أن إحياء صغير الحيوان كرامة، وإحياء الموتى من الناس معجزة، لأن الحال في الجميع واحدة إذا استوت في انتقاض العادة بها»[1]

---

(١) تابع المغني في أبواب التوحيد والعدل: إملاء القاضي أبي الحسن عبد الجبار. تحقيق: محمود الخضيري- د/محمود محمد قاسم مراجعة د/إبراهيم مدكور – إشراف د/ طه حسين .ط :الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م ج١٥ص٢٤٢،٢٤٣

والخلاصة أن المعتزلة أنكرت الكثير من خوارق العادات ونفت ظهورها، حيث إنها لا ترى أي خارقة للعادة إلا أنها المعجزة مثلها بمثل التي ظهرت على الأنبياء والرسل.

وذلك أيضا يتضح جليا عند الحديث عن أن المعجزات لا تختص إلا بالأنبياء دون غيرهم: «أعلم ان الخلاف في ذلك من وجوه، فمنهم من يجوز ظهورها على الكذاب دلالة على كذبه، ومنهم من يجوز ظهورها على السحرة والكهنة»(١) فإن ما يظهر على السحرة والكهنة(وهو موضوع البحث) لا يعد من المعجزات، ولاهو مندرج تحتها، حتى تعرفه المعتزلة كما سبق في هذا القول؟!!

علاقة السحر بالعين والحسد:

إن للسحر علاقة قوية بالعين والحسد والكهانة، وإن كان السحر شديد وواسع في طرقه المؤذية، إلاَّ أن تجمعهم استحضار الشياطين، وطبيعة النفس الخبيثة في الشر، يبين ذلك التالي:

العين:

مأخوذة من عان، يعين إذا أصابه بعينه، وأصلها من إعجاب العائن بالشيء، ثم تتبعه كيفية نفسه الخبيثة، ثم تستعين على تنفيذ سمّها بنظرها إلى المعين، وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالاستعاذة من الحاسد فقال تعالى : ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾(٢)

فكل عائن حاسد، وليس كل حاسد عائنًا، فلمَّا كان الحاسد أعم من العائن، كانت الاستعاذة منه استعاذة من العائن.

وهى سهام تخرج من نفس الحاسد، والعائن نحو المحسود، والمعين تصيبه ضارة، وتخطئة تارة، فإن صادفته مكشوفا، لا وقاية عليه أثرت فيه. (٣)

تابع تفصيل ذلك في المرجع السابق ج١٥:صـ ٢١٦. (١)

(٢) العلق : آية ٥.

)فتاوى العلماء في السحر: اللجنة الدائمة للإفتاء: ط مكتبة الصفا: ص ٥٨٥.٣(

وقد ثبتت الأحاديث عن النبي ﷺ في الإصابة بالعين، فمن ذلك ما ورد فى الصحيحين، عن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان رسول ﷺ يأمرني أن استرقى من العين) [١]

فإن للعين أثرًا كبيرًا في المعان، فيمرضه أو يقتله، أو يتلفه بمشيئة الله تعالى، وذلك إذ لم يتبع المعان الأصول الشرعية، عندما يرى شيئا يعجبه، فيجب عليه أن يذكر الله تعالى (بسم الله ما شاء الله تعالى).

وإن للعلماء تفسيرات متعددة لحقيقة العين، فقيل: أن العائن يبعث من عينه قوة سمية، تتصل بالمعان فيهلك، أو يهلك نفسه، ولا يبعد أن تنبعث جواهر لطيفة، غير مرئية، من العين فتتصل بالمعين، وتتخلل مسام بدنه، فيخلق الله (تعالى) الهلاك عندها. كما يخلقه عند شرب السم. [٢]

وهو في الحقيقة فعل الله تعالى، لكن هذا ليس على القطع، بل جائز؛ ولذلك قال ابن القيم "رحمه الله": أنها سهام تخرج من نفس الحاسد، والعائن نحو المحسود، والمعين تصيبه تارة، وتخطئه تارة". [٣]

قال تعالى :﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾[٤].

---

[١] متفق عليه رواه البخاري (٥٧٣٨) كتاب الطب، ومسلم (٢١٨٨)

[٢] تابع فيض القدير شرح الجامع الصغير: عبد الرؤوف المناوي، ط١ المكتبة التجارية الكبرى – (مصر) ج٥: ص١٩٤ (بتصرف).

[٣] فتاوى العلماء في السحر: اللجنة الدائمة للإفتاء: ص ٥٨٥.

[٤] تابع زاد المعاد في هدى خير العباد: ابن قيم الجوزية: ط مؤسسة الرسالة (بيروت) :ج٤: ص١٦٧: (بتصرف).

ولذلك اتفق العلماء أن العائن حاسد، وهو أضر من الحاسد ، وقيل أن الله سبحانه ذكر في سورة (الفلق) الحاسد لشموله العائن، فإذا استعاذ المرء (برب الفلق) من شر الحاسد، استعاذ أيضًا من العائن.

أما الحاسد:

تقول العرب حَسَدَه يحِسِده ويحسُدُه حسدًا وحسده، إذا تمنى أن تتحول إليه نعمته وفضيلته، أو يسلبهما هو، فالحسد هو تمنى زوال نعمة المحسود.

وقيل: هو تمنى مثل النعمة، التى وهبت لغيره، من غير أن يتمنى زوالها عن صاحبها، فذلك تسمى بالغبطة، التى هى التمنى بمثل النعمة، ولا يتمنى زوالها عنه. (١)

وعلى كل يكون على حسب نفس الحاسد، والعائن معًا، في شدةَ الشر وأثره على المحسود.

والحاسد تتكيف نفسه بالخبث، فتصبح نفسًا غضبية خبيثة حاسدة.

وتؤثر في المحسود بطريقتين:

الأول: قوة النفس الذاتية، وهى في هذه الحال تؤثر في المحسود غاب أم حضر .

الثانية: بطريق عين الحاسد، وهذا لا يؤثر إلاَّ إذا كان المحسود موجودًا، ونظر الحاسد إليه نظرة شر وحسد، إذ لو نظر إليه نظرة وهو ساه لاه، فإنه لا يؤثر فيه شيئًا.

أما العائن الذى يمرض ويؤذى غيره، سبب تلك النظرة الخبيثة، المنبعثة من أعماق نفسه، يضرُ غيره لشدة العداوة والحسد، فإذا توجهت نفسه الخبيثة إلى المنظور إليه أضرَّ به. (٢)

وإن الضرر على حسب خبث النفس، وشرها، فعلى قدر ظلمتها وكفرها يكون الضرر.

وعلى كل يجمعهم عدم ذكر الله تعالى، وضعف ونقص الإيمان به سبحانه وتعالى.

---

(١)القلم : آية ٥١.

(٢)تابع عالم السحر والحسد: أ.د. عمر سليمان الأشقر : ط دار النفائس: ص٨٠، ٨١ (بتصرف).

ومن ثم فإن العلاقة وثيقة بين السحر والحسد.

أولاً: قصد ونية الشر، والنفس الأمارة بالسوء.

ثانيًا: إن العين والحسد هما بدايات للإستعانة بالسحرة؛ ولذلك فإن الشياطين تعين الحاسد، والساحر.

فالعائن والحاسد دون قصد منهما تحضرهما الشياطين، أما الساحر يطلب استحضارهما.

ولذلك قال تعالى في سورة العلق: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ فقد جمع سبحانه بينهما في الآية الكريمة.

وإن أثر الحسد بيّن، وإن اختلف العلماء في تفسيره، وكيفيته، وهو معروف عند العامة والخاصة من الناس، وقد اكتشف العلماء في العصر الحديث حيوانات برية، وبحرية تبعث من عينها أو جسدها، أشعة سامة تقتل غيرها من الحيوانات، فلا يستبعد أن يحدث ذلك من الإنسان، إذا خلت نفسه من ذكر الله (تعالى)،والإيمان به سبحانه وتعالى. فإذا تكيفت النفس بالكيفية الرِديئة، انبعت من عينها قوة سمّية تتصل بالمعين، فمع استحضارها للشيطان، يحدث الضرر. ولذلك ينبعث منها القوة السمّية، وقد صورها العلماء بالأفعى، فإن هذا الأمر اشتهر عن نوعٍ من الأفاعى، إذا وقع بصرها على الإنسان هلك، فكذلك العائن.

لكن المذهب عند أهل السنة أن الله تعالى أجرى العادة، بخلق ما يشاء من الضرر، عند مقابلة عين العائن، من غير أن يكون منه قوة، ولا سبب ولا تأثير أصلاً. [1]

وعلى كل أمرنا الله تعالى، وسنة رسول الله(ﷺ) الاستعادة والتحصين، من شر هذه النفس الخبيثة الحاسدة المؤذية، التى تكيفت بكيفية خبيثة مؤذية للناس

([1])تابع زاد المعاد فى هدى خير العباد: ج ٤: ١٦٦ (بتصرف).

العلاقة بين الساحر، والكاهن، والعراف، والمنجم:-

إن العلاقة وثيقة، بين الساحر، والكاهن، والعراف والمنجم، وان كان يتشابه عملهم وكفرهم. كذلك فإن في توضيح هذه العلاقة، يتضح بدقة عمل الساحر يوضح ذلك التالي:

فالسحر والكهانة: من إعانة الشياطين لبني ادم، فإن الكاهن يخبره الجن.

وإن الساحر (بإذن الله تعالى) يقتل، ويمرض، وكما قيل من الجائز أن يصعد في الهواء... ونحو ذلك بإعانة الشياطين له، فأمورهم خارجة عما اعتاده الإنس.

ومفهوم الكهانة: هي كلمات تجري على لسان الكاهن، وربما توافق وربما تخالف. وكذلك كلمات الساحر أكثرها الكذب.

وقيل أن الكاهن: هو الذي يخبر بالأخبار الماضية الخفية، بضرب من الطعن، لكن الساحر: يدعي بتسخير الجن، وبلوغ الآمال، والتأثير في الخواطر.

والمشعوذ: هو ما يكون من السحر، ولكن بخفة اليد، وهو البريد لخفة سيره، وله أثر على المشعوذ له، كالسحر.

أما العراف: هو الذي يخبر بالأخبار المستقبلية، أيضا بضرب من الظن، قال تعالى ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾[1]أو هو الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات، وأسباب يستدل بها على مواقعها، كالمسروق من الذي سرقه، ومعرفة مكان الضالة، ونحو ذلك.

وهكذا أيضا قال الإمام النووي:

أن الكاهن إنما يتعاطى الأخبار عن الكوائن، في المستقبل، ويدعي معرفة الأسرار. والعراف: يتعاطى معرفة الشئ المسروق ، ومكان الضالة، ونحوهما[2]

([1]) الحاقة: آية ٤٢.

([2]) تابع شرح النووي على صحيح مسلم: ج٥:ص٧(بتصرف) وتابع حجة الله على العالمين من معجزات سيد المرسلين: الإمام النبهاني ص٤٤(بتصرف)

ج

وأما المنجم: هو ساحر يدعى علم الغيب يدخل في مفهوم الكاهن، في نهيه (ﷺ)، في خطبته للإمام على (كرم الله وجه)، منها أذكر:

" يا أيها الناس إياكم وتعلم النجوم، إلاَّ ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر؛ وإنما المنجم كالساحر،والساحر كافر، والكافر في النار، والله لئن بلغنى أنك تنظر في النجوم، وتعمل بها لأخلد بك في الحبس ما بقيت، ولأحرمنك العطاء ما كان لى سلطان. ثم سافر في الساعة التى نهاه عنها، ولقى القوم،فقتلهم في وقعة النهروان الثابتة في الصحيح لمسلم. ثم قال: لو سرنا في الساعة، التى أمرنا بها،وظفرنا، لقال قائل سافر في الساعة التى أمرنا بها المنجم. ما كان لمحمد(ﷺ) منجم، ولا لنا من بعده،فتح الله علينا كسرى وقيصر، وسائر البلدان، ثم قال: يا أيها الناس توكلوا على الله وثقوا به، فإنه يكفي ممن سواه"[(١)]

ومن حكم الله(سبحانه وتعالى) في النجوم:

١- جعلها زينة للسماء

٢- وجعلها ليهتدى بها.

٣- وجعلها رجوما للشياطين.[(٢)]

وإن غير ذلك يعتبر كهانة، باستحضارهم للشياطين قال الله تعالى﴿ وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾[(٣)]=ولذلك قيل: أن أناسًا جهلة بأمر الله تعالى، أحدثوا من هذه النجوم كهانة:"من أعرس بنجم كذا وكذا، كان كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا وكذا، كان كذا وكذا. ومن ولد بنجم كذا وكذا، كان كذا وكذا. وما من نجم إلاَّ يولد به

[(١)] تابع الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصارى القرطبى: ج١٩: ص٢٧(بتصرف) ط: دار الشعب (القاهرة).

[(٢)] تابع تفسير القرآن العظيم: ابن كثير: ط الكليات الأزهرية: ج٦:ص١٨٧(بتصرف).

[(٣)] النحل: آية ١٦.

الأحمر، والأسود، والقصير، والطويل والحسن، والذميم، ولا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلاَّ الله تعالىٰ[١]

فمن اعتقد في هذه النجوم التأثير بذاتها فقد كفر بالله تعالىٰ، والعمل بمقتضاه، كالتقرب إلىٰ النجوم وتقديمهم القرابين لها طبعًا كفر؛ ومن ثم فإن النجامة تدعو إلىٰ الكهانة، والمنجم كاهن، والكاهن ساحر والساحر كافر في النار[٢]

وقفة جديرة بالذكر:

مما سبق يتبين خطأ من عّرف السحر أنه من قبيل خوارق العادات والكرامات؛ وهذا لا ينفي غرابة الأفعال السحرية ودقتها، وخفتها، حيث إنها ترجع إلىٰ أمرين:

أولا: استعانة الساحر بالشياطين، بعزائم، ورقىٰ يتقن صناعتها.

ثانيا: أن السحرة اعتمدت في أعمالها السحرية علىٰ الخداع، والحيل، والخفاء، كذلك والتخيل علىٰ غير الحقيقة، وهو الذىٰ ليس له حدود في المسحور له(كما سيتبين بتفصيل في الفصل التالىٰ):

ثالثا: إن الجن، والشياطين عالم غيبىٰ خلقه الله تعالىٰ قبل الإنسان، لهم قدرات خارقة لعادة الإنسان، فقد أعطاهم الله تعالىٰ من القدرة"كما سيأتىٰ" للنفوذ إلىٰ أجساد البشر، وبواطنهم، لا ينكر ذلك إلاَّ مكابر.

تعليق الرازي علىٰ رأي المعتزلة:

وقد رأىٰ الإمام الرازىٰ، أنه علىٰ رغم من إنكار المعتزلة بذلك، إلاَّ أن المثبتون احتجوا:

١- بأن الجن عبارة عن موجود ليس بجسم، ولا جسمانىٰ، فحينئذ يكون معنىٰ كونه قادراً علىٰ النفوذ في باطنه، أنه يقدر علىٰ التصرف في باطنه، وذلك غير مستبعد،

---

(١)المرجع السابق: ص١٨٨(بتصرف).

(٢)تابع فيض القدير الجامع بين فنىٰ الرواية والدراية من علم التفسير: تأليف محمد بن علىٰ محمد الشوكانىٰ: ط دار الفكر(بيروت)، تحقيق محمد الدين الخطيب:ج ٥: ص٢٩٣(بتصرف).

وان كان عبارة عن حيوان لطيف نفاذ كان نفاذه في باطن بنى أدم غير ممتنع، قياسًا على النفس.

٢- قال تعالى﴿ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ [(١)]؛ ومن ثم قيل: ما يكون منهم ملازمًا كالقرين، ومنهم ما يكون طائفًا، وما يكون مرضًا، وما يكون منهم عداوة. وكل ذلك إنما سعى من الشياطين للتلبيس على الناس، سعيًا لاستدراجهم والوسوسة عليهم، وأذيتهم، بحسب مداخلهم على المرء؛ولذلك كان من استعاذة النبى(ﷺ): (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفثه...) [(٢)]

ولذلك رأى ابن تيمية أنه قد علم بالسمع والعقل، أنه إذا فرغ قلبه من كل شئ لله تعالى، حلّت فيه الشياطين، ثم تنزلت عليه الشياطين، كما كانت تتنزل على الكهانة، فان الشيطان إنما يمنعه من الدخول إلى قلب ابن ادم، ما فيه ذكر الله تعالى الذى أرسل به رسله، فإذا خلا من ذلك تولاه الشيطان قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [(٣)]

وقال الشيطان فيما أخبر الله تعالى عنه: ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [(٤)]، وقال تعالى﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ [(٥)]

ومن الجدير بالذكر، ما ذكره ابن تيمية فى أنواع الخوارق، حيث رأى أن منها المحمود، ومنها المذموم، ومنها المباح.

---

(١)البقرة:آية ٢٧٥.

(٢)تابع مفاتيح الغيب: الرازى: ط الكليات الازهرية ص٧٥(بتصرف).

(٣)الزخرف: آية ٣٦-٣٧٠

(٤)ص: آية ٨٢.

(٥)الحجر: آية ٤٢.

ولذلك قال ما يجب طلبه، والعمل به الاستقامة لا الكرامة. ومن منحه الله تعالى بالكرامة، فليحمد الله تعالى بملازمته للاستقامة فى الدين. [١]

ظهور المعجزات على أيدي الكذابين من المقدورات عند المعتزلة:

ذهب القاضي أبو بكر وجماعة من المعتزلة إلى أن إظهار المعجزات على أيدي الكذابين من المقدورات، لكن اختلف هؤلاء فمنهم من قال: أن انخراق العوائد وقلبها غير مستبعد في مقدور الله تعالى وعلى هذا فال يمتنع اظهار المعجزات على أيدي الكذابين[٢] .

وعلى الرغم من ذلك ذهب أكثر المعتزلة إلى انكار ظهور الكرامات على أيدي الأولياء، لكن القاضي أبو بكر رأى أن ذلك غير ممتنع في العقل بشرط ألا يكون ادعاؤه لذلك على طريق التعظيم والخيلاء، فإن ذلك ليس من شعار الأولياء، والصالحين، والفرق مع ذلك بين المعجزات والكرامات، هو أن المعجزات مع دعوى النبوة والكرامة مع دعوى الولاية ولا منافاة[٣] .

ولذلك ومن الجدير بالذكر: أن السحر وإن أنكره معظم القدرية غير أن أهل الحق معترفون به، ومع ذلك فالحق أن يقال: السحر لا يخلو: إما أن ينتهى إلى حد المعجزة: كفلق البحر ،وإحياء الميت، وإبراء الأكمه، والأبرص أو أنه لا ينتهى إلى حد الإعجاز.

فإن كان الأول: فقد تحقق الفرق بين السحر والمعجزة.

وإن كان الثاني: فإما أن لا يتحدى معه الساحر بالنبوة، أو يتحدى فإن لم يتحد، فقد تم الفرق أيضا.

([١])تابع المعجزات والكرامات وأنواع خوارق العادات: ابن تيمية: ط مكتبة الصحابة: ص١٧(بتصرف).

([٢]) تابع ابكار الأفكار في أصول الدين: الآمدي : جـ٤صـ ٦٢،٦٣(بتصرف)

([٣]) المرجع جـ٤ :صـ٥٩، ٦٠(بتصرف).

والخلاصة أن الدال على صدقه هو الخارق؛ وذلك ليس من فعله، ودعوى النبي، وإن كانت من فعله وهو شرط فليست خارقة ولا هي من دليل الصدق في شيء[1] .

رأي الإمام أبو الحسن الأشعري:

والذي ذهب إليه الشيخ أبو الحسن الأشعري وجماعة من أصحابه:

القول باستحالة المعجزة على أيدي الكاذب، وانه غير محدود م نجملة المقدورات لوجهين .

الوجه الأول: أن المعجزة دلالة على التصديق قطعا فإن دلت، فقد جعل الكاذب صادق وهو محال، وإن لم تدل فيفضي ذلك إلى انقلاب دلالة ماوجبة، وخروجه عما وجب له، وهو محال كما في الأدلة العقلية.

الوجه الثاني: أن المعجزة لو ظهرت على يد الكاذب لما كانت مقترنة بالتصديق، لما فيه من إخراج الواجب عن كونه واجبا[2]

---

(1) المرجع جـ٤ :صـ٥٦(بتصرف).

(2) المرجع جـ٤ :صـ٦٢،٦٣(بتصرف).

الفصل الثاني

الحكم الشرعي على السحر والسحرة

تمهيد :

لقد سبق الحديث أن الساحر لا يثمر عمل سحره، صحيحًا، إلاَّ إذا اكتمل شروط كفره، وفسقه، فمقدار ظلمة نفسه يكون سحره؛ حيث إن السحر طريق أسس على الإشراك بالله تعالى؛ ولذلك تجب أن يكون خلوة الساحر، في المواضع النجسة، المظلمة، والتي ليس فيها أذان، ولا أدنى ذكر لله تعالى، هذا إلى جانب ظلمة قلبه،وخلوه من الإيمان بالله تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴾ (١) ولذلك فالحكم الشرعي على السحر، والسحرة، حاسم لشدة كفره، وفساده، يبين ذلك التالي :

الدليل الشرعي على كفر الساحر وعمله :

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

---

(١) الشعراء ٢٢١– ٢٢٣ .

(٢) البقرة ١٠١ – ١٠٢

فالآية الكريمة محكمة البيان بكفر الساحر؛ ولذلك روى أنس ابن مالك ﷺ، قال ﷺ(من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد برئ مما أنزل على محمد ﷺ)وفي رواية أخرى قال ﷺ(فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ)[1].

نستدل مما سبق :

تصريح القرآن الكريم بأن الساحر كافر، وكل أعماله السحرية لا تتصف إلاَّ بالكفر

يوضح ذلك بتفصيل التالي:

أولاً : نبذهم لكتاب الله تعالى في قوله سبحانه ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

ثانيا : أتباعهم للشياطين، بدلا من كتاب الله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[3].

ثالثا : قوله تعالى أيضا:

---

[1] صحيح مسلم(٤-١٧٥١) كتاب السلام.

[2] البقرة ١٠١ .

[3] البقرة ١٠٢.

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾(١).

رابعا : التصريح بالكفر أيضا في الآية الكريمة لمن تعلمه، وكذلك بدأ الله تعالى بقوله سبحانه: (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ) ثم قال تعالى (وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟) ثم قوله تعالى (فَلَا تَكْفُرْ) ومن ثم في الآية الكريمة تكرار لكلمة الكفر، مرة في نفيها عن سيدنا سليمان "عليه السلام"؛ ومرة في كفر الشياطين، وأخرى فلا تكفر فهذه أدلة صريحة، ويقينية في كفر الساحر، وكفر عمله .

خامسا: من اشترى هذا الكفر والفسق عن طاعة الله تعالى، ورجح في عمله هذا الباطل، ماله في الآخرة من نصيب .

وذلك أيضا في الآية الكريمة ﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾(٢)

سادسا : قال تعالى: ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ إن هذه الآية الكريمة أيضاً، تدل على النفي التام عن جميع أنواع الفلاح عن الساحر، وكل ما أتاه من سحره .

ويعني ذلك أنه قد أغلق عن نفسه بسحره كل الخير والفلاح في الدنيا والآخرة، وإن عدم الفلاح هذا لا يكون إلاَّ في صفات الكافر .

أراء الفقهاء والعلماء في كفر الساحر :

إن جماهير العلماء من فقهاء الحنفية، والمالكية، والحنابلة، يقولون بكفر السحرة، وخروجهم عن الدين

---

(١)البقرة ١٠٣ .

(٢)البقرة ١٠٢.

قال الإمام مالك (رحمه الله تعالى) وجماعة : أن الساحر كافر، وأن السحر كفر، وأن تعلمه وتعليمه كفر[١].

ولذلك قيل أن تعلمه كفر، وإن لم يعمل به، إذ به تعظيم الشياطين، ونسبة الكائنات إليها، فلا يستطيع مسلم آمن بالله تعالى، أن يقول ليس بكفر .

فالآية الكريمة السابقة واضحة، في أن السحر بذاته من العلوم المكفرة، فلا يجوز تعلمه وتعليمه .

ولذلك عدَّه ﷺ من السبع الموبقات، أي المهلكات كما سبق، كذلك قال الإمام ابن قدامة (رحمه الله تعالى)؛ أن تعلم السحر، وتعليمه حرام، لا نعلم فيه خلافًا بين أهل العلم. قال أصحابنا:« ويكفر الساحر بتعليمه، وفعله، سواء اعتقد تحريمه، وإباحته»[٢].

لكن الحافظ ابن حجر (رحمه الله تعالى) . قال أن الآية الكريمة السابق ذكرها دلَّت، على أن السحر كفر، ومتعلمه كافر .

وهذا في بعض أنواعه، كالتعبد للشياطين، أو الكواكب، لكن النوع الآخر، الذي هو ما باب الشعوذة،فلا يكفر به من تعلمه أصلاً .

وذلك لقول الإمام النووي : أن منه ما يكون كفرًا، ومنه مالا يكون كفرًا بل معصية كبيرة، أي من الكبائر.

فإن كان فيه قول أو فعل يقتضى الكفر، فهو كفر، وإلاَّ فلا.

أما تعلمه، وتعليمه فحرام، فإن كان فيه ما يقتضى الكفر كفر .

ولذلك رأى بجوار أن تقبل توبته منه، ولا يقتل، فإن تاب قبلت توبته، وإن لم يكن فيه ما يقتضى الكفر عذر " [٣].

---

(١) الشرح الكبير على مختصر خليل : سيدي أحمد الدردير أبو البركات: دار الفكر (بيروت)

(٢) المغنى : ج ٩: ص ٢٤ (بتصرف) ط : مكتبة الرياض الحديثة .

(٣) تابع فتح الباري شرح صحيح البخاري : ص ١٠ : ص ٢٢٤ .

وعلى ذلك رأى الإمام النووي: أن تعلم السحر محظور، ومحرم لأن تعلمه داع إلى فعله، والعمل به فكان محظورًا .

لكن إذا تعلمه رأى أنه لم يكفر به، وقد استدل بالآية الكريمة السابق ذكرها .

وبناءً على ذلك رأى : أن من تعلم السحر، أو علمه، واعتقد تحريمه، لم يكفر .

لكن إن اعتقد إباحته، مع علمه بتحريمه فقد كفر[1].

لأنه كذب على الله تعالى في خبر، ويقتل كما يقتل المرتد عن دين الله تعالى .

وعلى هذا الرأي ذهب الإمام النووي أنه لا يجوز بيع كتب الكفر؛ لأنه ليس فيها منفعة مباحة، بل يجب إتلافها، كما يجب على المسلمين أن يحذروا كتب السحر، والتنجيم، فإنها تضر المسلم، وتوقعه في الشرك.

وهذا هو الواجب عمله .

كذلك لا يجوز لطالب العلم، ولا غيره أن يقرأها، أو أن يتعلم ما فيها، كذلك والأخطر على غير طالب العلم عوام الناس يجب الحذر الشديد، من تناولهم لها، فالواجب عليهم جميعا إتلاف، كل الكتب التي تعلم السحر،والتنجيم [2].

وقفة للتحليل والتعليق :

لقد تبين من رأى الحافظ ابن حجر، والإمام النووي، أنه صنف السحر إلى قسمين : منه ما يكون كفرًا، ومنه مالا يكون كفرًا، بل معصية كبيرة، وذلك إن كان سحره لا يقتضى إلى الكفر، كالاستعانة بخواص بعض الأشياء، من دهانات وغيرها، فهو حرام حرمة شديدة، ولكنه لا يبلغ بصاحبه الكفر .

لكن الأولى والأحسن والأجدى، الرأي الذي يكفر السحر، والسحرة، مهما كانت نواياهم وأعمالهم؛ وذلك للتحذير الشديد من هذا الباب في الكتاب والسنة

---

[1] تابع المجموع شرح المهذب : يحيى بن شرف النووي : دار الفكر بيروت ١٩٩٧م : ج: ١٠ص ٣٩٨ (بتصرف).

[2] المرجع : ج ٥ : ص ٤٠ ، ليصرف .

النبوية الشريفة، وكذلك لأن السحر مبنى على الخفاء ؛ ومن ثم فهو لا يعرف مزالقه الشركية، ومدى خطورته، فيقع في الشرك الأكبر وهو لا يعرف ولا يدرى بانزلاقه الى ظلمته.

الرأي الذي أجاز تعلم السحر من باب الحذر منه:

على الرغم أن الإمام النووي، صنف السحر صنفين، بين الكفر، والمعصية الكبيرة، لكن رأى الحذر الشديد من تعلمه، على رغم من بعض الفقهاء، وعلماء الكلام، منهم الشافعية، رأوا أن تعلمه ليس بحرام، بل يجوز ليعرف خطره، ويرد على السحرة، كذلك ليستطيعوا الرد، على من نظروا إليه أنه من الكرامات .

ولذلك قال الإمام الشافعي: " السحر معصية، إن قتل بها الساحر قتل، وأن أضرَّ بها، أدب على قدر الضرر .

وقد علل ابن حجر رحمه الله تعالى حيث رأى : أجاز بعض العلماء تعلم السحر لأحد أمرين:

أولاً : إما لتمييزه أو لمعرفة ما فيه كفر عن غيره.

ثانيًا : وإما لإزالته عمن وقع فيه.

فرأى أن لا محذور فيه إلاَّ من جهة الاعتقاد، فإذا سلم الإعتقاد، فمعرفة الشيء بمجرده، لا يستلزم منعًا، كمن يعرف كيفية عبادة أهل الأوثان للأوثان.

لأن كيفية ما يعلمه الساحر، إنما هى حكاية قول، أو فعل بخلاف تعاطيه، والعمل به [1].

وكان من الردود على هذا الرأي:

أولاً: هو علم غير كل العلوم، أنه كلام مؤلف، يعظم به غير الله تعالى، وتنسب إليه فيه المقادير والكائنات ، كذلك فى ذكر هذا العلم، وتكرار ما فيه، من الجائز أن تستحضر الشياطين بسبب جهل القارئ بما فيه

([1]) تابع فتح الباري شرح صحيح البخاري : جـ ١٠ : ص ٢٢٤ (بتصرف) .

ثانيًا: أن الله سبحانه وتعالىٰ، قد صرح في كتابه، بأنه كفر، لأنه تعالىٰ قال :﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾من السحر، وما كفر سليمان، بقول السحر، ولكن الشياطين كفروا بتعلمه، وتعليمه.

وهاروت وماروت يقولان : إنما نحن فتنه فلا تكفر وهذا تأكيد للبيان [1].

وعلىٰ الرغم من الحذر الشديد من معرفة هذا العلم، إلاَّ أن الكثير من أهل العلم يجوزون معرفته من باب المعرفة المجملة له، علىٰ وجه الخصوص كيفية نزول الناس، إلىٰ مستنقعاته واستدراج الشياطين لهم .

كذلك يريدون معرفة طرقه، ومداخله التعبدية؛ لكي يدفعوا ضرره إذا تكرر منه الفعل، أو يقر بذلك في شخص معين، وإن قتل يقتل حدا.

وكذلك في شبهاته، والتباس ظهور الشياطين في صورة ملائكة، وذلك عند عوام الناس إلاَّ كما يقولون : كيف يدفعوا شيئًا لا يعلمون حقيقته ؟!

وعلىٰ كل فإن الساحر جمع في سحره بين الكفر، والفساد في الأرض، فإذا ثبت منه سحره وتكرر قتل حتما.

ولذلك روىٰ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر بقتل السحرة، قبل موته بعام.

وقد أجمعت العلماء أن جهل الساحر بحاله لا يبرئ ضلالته؛ لأن بعض السحرة من جهلهم يظنون أن ما يفعلونه هو من باب الكرامات.

ومن المهم توضيحه أن المرأة الساحرة كالرجل الساحر في الحكم بالقتل، وإن كان الإمام أبى حنيفة قال في ذلك: "بحبس المرأة المسلمة ".

أما الذمي الساحر، اختلف حول حكمه بالقتل، فقال بعضهم، "بقتله كالمسلم"، وقال الآخر . "يعاقب علىٰ قدر سحرة، فإذا قتل بسحره يقتل"؛ لأنه في حقيقة أمره قد كفر بالله تعالىٰ، واستدلوا بذلك بلبيد بن الأعصم، الذي سحر رسول الله ﷺ، فلم يأمر بقتله رسول الله ﷺ؛ لأن الشرك الذي عليه أعظم من السحرة .

([1]) تابع أحكام القرآن : ابن عربي : جـ١ : ص ٤٨ ، ٤٩ (بتصرف).

لكن من قال بقتل الذمي الساحر، رد هذا الرأي؛ لأن الرسول ﷺ كان لا ينتقم لنفسه، وإن السحر لم يضره في شيء في بدنه، وإنما اعتراه بشيء عن التخييل.[١]

والحق هو علم مضرته خالصة، لا منفعة فيه، فإنه قد قيل أن الساحر يتعلم مائة باب منه، ولا يحصل غرضه إلاَّ من باب بعد تعب ومشقة [٢].

ولذلك في تفسير قوله تعالىٰ :﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ﴾ [٣] أي لبئس ما باعو به أنفسهم، من تعلم السحر، لو كانوا يعلمون سوء عاقبتهم [٤].

آراء الفقهاء في قتل الساحر:

اختلف الفقهاء فىٰ قتل الساحر، هل هو كالمرتد في حقيقة أمره ؟ أم يختلف في شأن ويتفق في آخر؟ وما هو الحد الذىٰ يبلغه بسحره حتىٰ يحكم عليه بالقتل ؟!

فذهب أبو حنيفة ومالك، وأحمد، بقتله، وهذا هو المأثور عن الصحابة، كعمر، وعبدالله بن عمر،وعثمان .. وكثير منهم ﷺ .

وقال مالك : يقتل ؛ لأنه بسحره قد كفر، ولا يستتاب ولا تقبل توبته، بل يتحتم قتله .

فإن أكثر العلماء ترىٰ بقتل الساحر، والمسألة بينهم مبنية علىٰ الخلاف، في قبول توبة الزنديق.

---

(١) تابع تفصيل ذلك: المنهاج شرح صحيح مسلم : جـ ١٤ : ص ١٧٦ (بتصرف) ومجموع الفتاوىٰ : ج ٢٩ : ص ٣٨٤ (بتصرف) وتفسير القرآن العظيم : ابن كثير : جـ١ : ص ١٤٥ (بتصرف) وشرح العقيدة الطحاوية : جـ ١ : ص ٥٦٩ (بتصرف) فتح الباري : جـ٦ : ٤١٤. المغنىٰ : ج، ١٢ . ص : ٢٦٤ (بتصرف)

(٢) تابع مفتاح دار السعادة : ابن قيم الجوزية : جـ٢ : ص ١٥ : ط دار الكتب العلمية (بيروت)

(٣) البقرة : ١٠٢ ..

(٤) تابع جامع البيان عن تأويل القرآن :الطبري : جـ١ : ص ٣٥٢ (بتصرف). ط دار الفكر بيروت ١٤٠٥هـ .

وكما سبق قال الإمام الشافعي : إن قتل بالسحر يقتل، وإلاَّ عوقب بدون القتل؛ إذ لم يكن فى قوله وعمله كفر .

واحتج أبو حنيفة بما روى أن جارية لحفصة أم المؤمنين (رضى الله عنها)، أمرت عبد الرحمن بن زيد قتلها، لأنها كانت ساحرة، كذلك لما أمر عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال ذلك: فقتلوا ثلاث سواحر [(١)].

ومن ثم فإن المشهور المعروف بين العلماء: أن الساحر يقتل من غير استتابة؛ وذلك لأن الصحابة لم يستتبوهم، ولأن السحر لا يزول بالتوبة .

لكن الإمام أحمد قال : إن تاب قبلت توبته، فخلى سبيله .

وبه قال الإمام الشافعى، لأن ذنبه لا يزيد على الشرك، والمشرك يستتاب، وتقبل توبته، فكذلك الساحر، وعلمه بالسحر، لا يمنع توبته، بدليل توبة سحرة فرعون .

أما إذا جحد أنه سحر، وهو ساحر قيل يجب قتله ؛ لأنه قد ثبت عليه السحر، ودليل أنه يضمر الشر. وقيل أن اعتقد أن سحره مباح، قتل لكفره ؛ لأنه قد حلل المحرم، المجمع على تحريمه المعلوم، من الدين بالضرورة كفر .

وإن اعتقد أنه حرام عند الإمام الشافعى ﷺ أنه جناية، ولا يقتل، لكن إن أضر به الغير، وأقر: يقتل[(٢)].

لكن على الأكثر أن الساحر يقتل، حيث جمع في سحره الكفر، والفساد بين الناس، بطرق خفية مؤذية ومهلكة، ولذلك أعظم الكفر، كفر الساحر، وأكبر فساد، فساد الساحر، حيث فيه قد اتصل بالشياطين وقد بنى عمله على الخفاء .

عن جندب بن عبدالله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ (حد الساحر ضربه بالسيف) [(١)].

([١]) تابع الزواجر عن اقتراب الكبائر : ابن حجر الهثيمى : ط المكتبة العصرية (لبنان– صيدا) ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م الطبعة الثانية ، تحقيق مركز الدراسات والبحوث : جـ٢ : ص ١٧١٨(بتصرف) .

([٢])المرجع : والجزء والصفحة (بتصرف) .

وقد روى أنه كان ساحرا يلعب عند الوليد بن عقبة بن أبي معيط، فيأخذ سيفه فيذبح نفسه، ولا يضره فقام جندب ﷺ، فأخذ السيف، فضرب عنقه، ثم قرأ : ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ [٢] ....[٣]"

آراء الفقهاء في توبة الساحر:

لقد سبق أن الساحر لكى يحقق غرضه من السحر، لابد وأن قد كفر بالله تعالى، وأشرك فبقدر ظلمة نفسه وفساده، يكون أذاه، وفساده بين الناس.

ولذلك اختلف الفقهاء حول توبة الساحر، هل يستتاب كالمرتد، أم ليس له توبة .

قال مالك، وأبو حنيفة ؛ لا تقبل توبته، فقد روى عن أبي حنيفة أن الساحر يقتل مطلقًا، إذا علم أنه ساحر بإقراره على نفسه، أو ببينه تشهد عليه، بأنه ساحر، ويصفونه بصفة، تعلم أنه ساحر ولا يقبل قوله "أترك السحر وأتوب عنه" .

فإن أقر بأني كنت أسحر مدة، وقد تركت ذلك منذ زمان، قبل منه، ولم يقتل .

وذلك لقوله ﷺ، كما رواه الدار قطنى : (حد الساحر ضربة بالسيف) [٤].

وقد سئل الإمام أبى حنيفة : لماذا لم يكن الساحر بمنزلة المرتد حتى تقبل توبته ؟

فقال ﷺ ؛ لأنه جمع مع كفره السعي في الأرض بالفساد، ومن هو كذلك يقتل مطلقًا .

([١]) الحديث سبق تخريجه في صحيح البخاري .

([٢])الأنبياء : آية ٣ .

([٣])تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام : الذهبي : دار الكتاب العربي (لبنان بيروت) ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م (الأولى) تحقيق د/ عمر عبد السلام ترمزي– وتابع "العبر في خبر من عبر: ط حكومة الكويت _١٩٨٤م– الثانية) :ج١: ص١٢. .

([٤])تابع مطالب أولى النهى في شرح غاية المنتهى : أستاذ/ مصطفى السيوطي الرحيبانى : ط الكتب الإسلامي دمشق ١٩٦١م .جـ١ : ص ٢٩٣ (بتصرف)

وقد ردَّ ما قاله الإمام بأنه ﷺ لم يقتل اليهودي الذي سحره، فالمؤمن مثله لقوله ﷺ : (لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين) [١].

الحكم الشرعي لمن أتى عرافا أو كاهنًا:

عن أنس بن مالك ﷺ، قال رسول الله ﷺ : (من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول، فقد برئ مما أنزل على محمد ﷺ، ومن أتاه غير مصدق له، لم يقبل له صلاة أربعين يومًا) [٢].

عن وائلة بين الأسقع ﷺ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (من أتى كاهنا فسأله عن شئ حجبت عنه التوبة أربعين ليلة فإن صدقه كفر) [٣].

وعن بعض أزواج النبي ﷺ قال : (من أتى عرافًا فسأله عن شئ لم يقبل له صلاة أربعين ليلة) [٤].

لذلك فالمصدق للساحر كافر، ويتساوى في كفره مع الساحر نفسه، وكل علم يستتبع فيه السحر وطرقه، يدخل في الكفر، كالكهانة الذين يدعون علم الغيب بواسطة شياطينهم، قال على ﷺ (من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ) [٥].

مصداقًا لقوله ﷺ : (ثلاث لا تدخل الجنة : مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق السحر)[٦].

---

(١) الحديث في المعجم الأوسط (٣٧٨/٦) حديث رقم (٦٦٧٠) .

(٢) المعجم الكبير (٦٩/٢٢) حديث رقم (٦٩) .

(٣)صحيح مسلم : (١٧٥١/٤) كتاب السلام ، باب تحريم الكهانة واتيان الكهان حديث رقم (٢٢٣٠) .

(٤) الحديث في المعجم الأوسط (٣٧٨/٦) برقم (٦٦٧٠).

(٥)أخرجه الإمام أحمد فى مسنده : جـ ٤ / ٣٩٩ .

(٦)رواه مسلم .

من الأمر البيّن أن من أتى الساحر، ومن على شاكلته، فصدقه فقد تساوى معه في كفره بالله تعالى ذلك، وكما سبق فقد نفى الله تعالى عنه كل الفلاح، فكيف يبغي المسلم الرأي والمشورة، ممن خسر كل الفلاح في الدنيا والآخرة! قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [١] .

وكما سبق قوله تعالى : أيضا ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾[٢] .

وعلى ذلك، وكما يأتي تفصيله، يجب على المسلم أن يعمل على تجديد إيمانه، ويدعو الله تعالى ويتوكل على الله تعالى، ويقرأ من القرآن الكريم، ما ذكره ﷺ عند هذا البلاء وليعلم، كما قال الله تعالى : ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[٣] . وبالإضافة لما سبق إن السحرة لا يقولون، ولا يكتبون من الأقوال إلاَّ التى فيها الشرك، والأقسام بالشرك والتعظم للشياطين .. وهكذا[٤] .

وإن الوجهة إلى غير الله تعالى كفر، ولهذا كان الساحر كافرًا [٥].

قال الله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ ﴾ وقد فسر الجبت : بالسحر، وكل متعلقات السحر تأخذ حكمه في التحريم، وذلك كما روى أبو داوود في سننه، بإسناد قبيصة بن مخارق، عن النبى ﷺ : (العيافة، والطرق والطيرة من الجبت) وقيل : العيافه، زجر الطير . والطرق : الخط يخط على الأرض .

([١]) سورة البقرة ١٠٢ .

([٢]) البقرة ١٠٢ .

([٣]) البقرة ١٠٢

([٤]) تابع الجواب الصحيح : ابن تيمية : جـ ٣ : ص ٣٨٨ (بتصرف)

([٥]) مقدمة ابن خلدون : جـ ١ ص ٥٠٤ (بتصرف) .

ومن الأمر المهم الإشارة إليه، أنه يدخل في التحريم، وكذلك الكفر والإشراك بالله تعالى"تعليق التمائم،والجبت لدفع السحر، أو لعلاجه " .

فقد أجمع العلماء أن التمائم جزء من السحر، والتمائم : جمع تمتمة، وهى حرز، أو قلادة تعلق في الرأس، أو غيرهما .

فقد كانوا في الجاهلية يعتقدون أن ذلك يدفع السحر، والأمراض، والتِولة أيضًا، بكسر المثناة وفتح الواو واللام مخففًا : شئ كانت المرأة تجلب به محبه زوجها، وهو ضرب من السحر، وهو أيضًا من الشرك، لأنهم أرادوا دفع المضار، وجلب المنافع، من عند غير الله " .

وكل ذلك .. وغيره من العزائم ؛ والطلاسم والرقى ما فيه عباده للجن، وتعظيم لهم، فهى الشرك وإن لم يعلم الحامل لها ذلك .

وكل ذلك وغيره، حرام وأبطله الإسلام [1].

ويعود المسلم صحيحًا، وهكذا لا يحل السحر إلاَّ بما شرعه الله تعالى، من القراءة الشرعية والدعاء والأدوية المباحة والصبر، والتوكل على الله تعالى، واحتساب الأجر، والصواب عند الله تعالى، وكذلك كل ما يتعلق بهذا الباب من العين والحسد، والكهانة .. وغير ذلك .

الحكم الشرعي لحل السحر بالسحر :

إن اليقين الثابت، ومن البداهة أن الداء لا يحله إلاَّ الدواء، ومن الجدير بالذكر أن السحر الذى هو الكفر، والخروج عن طاعة الله تعالى، وسبيله الصحيح، لا يحله إلاَّ الرجوع إلى الله تعالى.

فمن يتصور أن يحل مشكلته باللجوء للسحرة فقد كفر مثلهم (كما سبق فى حكم الفقهاء) يوضح ذلك التالي :

---

[1] تابع بتفصيل فتح الباري شرح صحيح البخاري : جـ ١١ ص ٣٥١ (بتصرف) ومجموع الفتاوى : جـ ١٩ : ص ١٣ (بتصرف) .

أولاً:إن حلَّ السحر بالسحر مناف لمفهوم الإيمان بالله تعالى، والتوكل عليه، وهو الشرك الجليّ بالله تعالى،قال الله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ﴾(١)

ثانيا: إن الساحر كافر، تنزلت عليه الشياطين لكفره، ومن ينزل إلى رأيهم فقد اتخذ الشياطين أولياء من دون الرحمن سبحانه وتعالى : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴾ (٢)

ثالثًا : كذلك إن يفعل ذلك يزيد أمره رهقًا ، وسوءًا، وغمًا ومرضًا ؛ ولذلك كما رأى الإمام ابن تيمية " أن الشياطين قد تعين الإنسان على بعض مقاصده، إذا أشرك، وقد يحصل بالكفر والفسوق والعصيان، على بعض أغراضه، المفسدة، إذا أشرك .

فلا يحل له ذلك إذ المفسدة الحاصلة بذلك، أعظم من المصلحة الحاصلة به، إذ الرسول ﷺ بعث بتحصيل المصالح وتكميلها، قال الله تعالى: ﴿ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾(٣)

وقال تعالى:﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ (٤) .

وهكذا مهما نال من فائدة، في وهم نظرته وزعمه، فهي فتنة واستدراج إلى نار جهنم، فليحذر هذا المتوهم.

---

(١) الكهف : أية: ٥٠ .

(٢) سورة

(٣)النساء آية : ٦٠ .

(٤) الجن آية : ٦ .

الخاتمة

إن خير ختام هذا البحث اذكر:-

أولا: أركان وأسس الإيمان التى يجب أن يحفظها المسلم قلبًا وقالبًا قوله تعالى﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾[1] وقوله تعالى﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾[2]

وقوله تعالى﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[3]

ومن أحاديث الرسول (ﷺ) التى وردت توضح للمسلم الطريق المستقيم، قال ابن عباس عن رسول الله(ﷺ) : قال: كنت خلف رسول الله(ﷺ) يومًا، فقال(يا غلام إنى أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، أحفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فأسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلاَّ بشئ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك إلاَّ بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف) [4]

---

(١)الزمر: آية٣٦ .

(٢)الطلاق: آية ٣.

(٣)الاعراف: آية ٢٠٠.

(٤)أخرجه الترمزى في صحيحه(ج٤/٦٦٧) كتاب (صفة القيامة) حديث رقم(٢٥١٦).

ثانيا: السحر حقيقة وتخييل:

لقد أجمع جمهور العلماء أن للسحر حقيقة، وواقع معروف، منذ البدايات الأولى للإنسان، كذلك فإنه متنوع، منه ما هو على سبيل التخييل، والوهم، والأخذ بالعين، ومنه ما هو على حقيقة مرضية، تصيب الإنسان بإذن الله تعالى؛ لقوله تعالى﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾(1)

ثالثا: إن المعجزة فعل خارق للعادة، مقرون بالتحدى وعدم المعارضة:

ولذلك ليست للمقارنة بينها، وبين السحر، الذى هو في حقيقته من تعليم الشياطين(كما سبق)؛ ولذلك فهو يتصف بطبيعتهم النارية، الشيطانية، ومن ثم فهو يختلف بعض الشئ عن الأفعال العادية للبشر، ولكن ليس بخارق للعادة، ولا هو مقرون بالتحدي.

١- فالمعجزة آيات بينات، وعلامات كبرى في اصطفاء الله تعالى لرسله، وحجج ساطعة لصدق الرسل،أما السحر على خلاف ذلك تمامًا، بل هو فعل يعتمد على الخفاء، وغير مقرون للتحدى.

٢- الأنبياء معصومون من السحر، والفساد، فشتان الفروق بين النبى والساحر، فالنبى صادق فيما يخبر به عن ربه، ولا يستطيع أحد قط أن يكذبه، إلاَّ الجحود دون بينة، أما السحرة هم على نقيض الأنبياء،فالكذب، والفسق، والعصيان، والفساد، والظلم....وغير ذلك مما اتصفوا به، لقوله تعالى ﴿ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴾(2)

---

(1)الأنبياء: آية : ٨٣.

(2)الشعراء: آية رقم٢٢١،٢٢٢.

٣- الأنبياء لا يأمرون إلاَّ بالخير والصلاح للناس كافة، كذلك والعدل، ومصالح العباد في كل المعاش،والمعاد، وكل ما يتوافق مع الفطرة، والعقل؛ فهم القدوة في البر والتقوىٰ. أما الساحر لا يأمر إلاَّ بالشرك، والظلم، والعدوان وكل ما هو فساد في الأرض.

٤- آيات الأنبياء والرسل معجزات خارقة للعادة، مقرونة بالتحدي ظاهرة، وساطعة للناس كافة، أما السحر، والكهانة هيٰ أمور خفية، معتادة معروفة لأصحابها تنال بالكسب، والسعيٰ في سيبل الشياطين. أما النبوة لا تنال بالرغبة والتعليم والاكتساب، ومن ثم قال الله تعالىٰ ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾[1] فقد نفي سبحانه كل الفلاح وهو مخذول في والآخرة، وهو كاذب خبيث فالأنبياء هم الصفوة المختارة، قال ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[2]

٥- يستطيع المسلم المؤمن الخالص والصادق لله تعالىٰ، أن يعارض السحرة، وأن يقاوم آذاهم، أما آيات الأنبياء فلا يستطيع ساحر قط أن يعارضها، أو يأتي بمثلها.

٦- أن الغيب، لا يعلمه إلاَّ الله تعالىٰ، واستثنىٰ ذلك من الرسل فأودعهم ما شاء من غيبه، بطريق الوحىٰ إليهم، وجعله معجزة لهم وآيات ودلالة صادقة علىٰ نبوتهم، وليس الساحر، أو المنجم، ومن علىٰ شاكلتهما يعرفوا الغيب، بل هم كفرة يكذبون، قال بعض العلماء(وليت شعرىٰ ما يقول المنجم في سفينة ركب فيها ألف إنسان، علىٰ

---

[1] طه: آية رقم٦٩.

[2] الاسراء: آية رقم٨٨.

اختلاف أحوالهم، وتباين رتبهم، فيهم الملك، والسوقة والعالم والجاهل، والغنى والفقير،والكبير والصغير، مع اختلاف طوالعم وتباين مواليدهم، ودرجات نجومهم، فعمهم حكم الغرق في ساعة واحدة؟!

فإن قال المنجم قبحه الله : إنما أغرقهم الطالع الذى ركبوا فيه، فيكون على مقتضى ذلك، أن هذا الطالع ركبوا فيه، فيكون على مقتضى ذلك، أن هذا الطالع أبطل أحكام تلك الطوالع كلها، على اختلاف عدد ولادة كل واحد منهم، ولم يبق إلاَّ معاندة القرآن العظيم، وفيه استحلال دمه على هذا التنجيم، [1] وصدق الله العظيم﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴾[2]

٧- رابعا: الإنابة والإخلاص والصدق، وذكر الله تعالى:-

إن السحر من الأمراض الشديدة الضرر، والأذى على الإنسان؛ وذلك لأن مبناه على الخفاء،والدقة،وعدم الوضوح، فيبتلى به الإنسان، ولا يدرى كيف، ولا متى؟! وعلى الرغم من ذلك فإن تأثيره على المسحور به متفاوت، ومتنوع الأثر، من حيث شدته، وضعفه، ووجود ذلك يتوقف على حكمة الله تعالى في ابتلاء هذا الإنسان، فان الصدق والإخلاص، والذكر الكثير لله تعالى، يمد الإنسان بقوة، وثبات على الحق، فيستطيع أن يصبر، ويتوكل على الله تعالى.

والقلب إذا كان دائمًا على ذكر الله تعالى، بعقيدة ثابتة،راسخة بالله تعالى، يتدبر آياته، في ذكر الله تعالى، حينئذ يرى بعين البصيرة كيد الشيطان ضعيفًا؛ولذلك قيل أن الشيطان يصرع من ذكر الله تعالى، كما يصرع الإنسان من مس الشيطان.

([1])تابع الجامع لأحكام القرآن: ج١٩:ص٢٧.

ج

([2])الجن: آية ٢٦،٢٧.

فقد نقل بعض السلف: "إذا تمكن الذكر من القلب، فإذا دنا منه الشيطان صرعه، كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان، فيقولون له الشياطين: ما لهذا؟ فيقال: قد مسه الإنس"[١]

فإن الذكر مع الأعمال الصالحة، لهما الأثر العظيم في جلاء القلب وصقله، وتقويته، حتى يصير كالمرآة المجلوة، فإذا دنا الشيطان منه أصابه من نور، ما يصيب مسترق السمع من الشهب الثواقب، فيصرع الشيطان، ومن ثم فلا تستوى الناس، من حيث إيمانها بالله، وتوكلها الصادق، لذلك قال الله ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾[٢]

وعلى نقيض ذلك الذى يصبر، ويعزم على ذكرالله تعالى الدائم والتوكل عليه، قال الله تعالى﴿ مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[٣]
ولذلك كما قيل أهم ما ينبغي دفع أذى السحرة حال الإتيان:-

١- صفاء القلب من الكذب.

٢- الإخلاص في التوبة، والندم على ما فرط منه.

وإلاَّ فغلبة أسباب الداء تبطل نفع الدواء، فالضعف في الدين، والجهل بأحكامه، يورث الوهن والخوف الشديد، فتكثر الوساوس، والأوهام، وهما وقود نار تسلط الجن والشياطين.[٤] وعلى ذلك فالغفلة عن ذكر الله تعالى الخطر الكبير على المسحور، قال

---

(١)تابع مدارج السالكين: ابن قيم الجوزيه ج٢: ص ٤٢٤.

(٢)الزخرف: آية ٣٦.

(٣)السجدة :آية رقم٢٤.

(٤)تابع الفتاوى الكبرى الفقهية: ابن حجر الهيثمي: ط دار الفكر: ج٤ ص:٢٩(بتصرف).

تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾[١] وقال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴾[٢]

سادسًا: إن السحر الذى أصابه (ﷺ) كان من جنس الأمراض التى كانت تعتريه (ﷺ)، فلا نقص له ولا عيب، فالأضرار في جسده من السقم، والوجع فلا يبعد عنه(ﷺ)؛ لأنه بشر، وقد شفاه الله تعالىٰ. وهذا لا ينافي أن الله تعالىٰ عصمه، وحفظه في دعوته ورسالته، ونبوته، وفي التبليغ؛ ولذلك كما سبق أيضًا بقدر الإيمان الصدق يكون أثر السحر، فى ضعفه وقوته فما بالنا برسول الله(ﷺ)، فالأثر عليه لا يُذكر إلاَّ لأنه مشرع لنا، وأيضًا بما يجرىٰ علىٰ نفسه، لنتعلم، ونقتدي به (ﷺ)

خامسًا: خطوات الشفاء، والتحصين من السحر والعين والحسد:

والحسد: ذكر ابن القيم عشرة أسباب أذكر منها علىٰ سبيل التصرف:

١- التعوذ بالله من شرهم، والتحصن به، واللجوء إليه.

٢- تقوىٰ الله تعالىٰ وحفظه عند أمره، ونهيه، فمن اتقى الله تولىٰ الله تعالىٰ حفظه، ولم يكله إلىٰ غيره.

٣- الصبر علىٰ عدوه، وأن لا يقابله، ولا يشكوه، ولا يحدث نفسه بأذاه أصلاً.

حيث إنه كلما تحدث أو حدث نفسه به، كلما نشط، وقوىٰ من ضعف شكوته، ووجد فراغًا في نفسه عاش فيه .

---

(١)الزخرف: آية ٣٦.

(٢)الإسراء: آية :٤٦.

ولذلك قال الإمام ابن قيم الجوزيه: "أن الله تعالى جعل الصبر جوادًا لا يكبو، وصارمًا لا ينبو، وجنداً لا يهزم، وحصنًا حصينًا لا يهدم، فهو والنصر أخوان شقيقان: فالنصر مع الصبر، والفرج مع الكرب والعسر مع اليسر، وهو أنصر لصاحبه مع الرجال بلا عدة ولا عدد.

قال تعالى:﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [١] **ومن ثم فإن الصبر هو مفتاح الفرج، والنصر، ولذلك فقدره عظيم في نعم الله تعالى في الدنيا والآخرة، وخاصة على المبتلى بهذا المرض، وما ترتب عليه من الأذى الجسدي، والنفسي مما قذفه الشيطان.**

٤- التوكل على الله تعالى ، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [٢] فالتوكل من أقوى الأسباب التي تقوى المسحور، ما لا يطيق من أذى الخلق، وظلمهم، وعدوانهم.

٥- فراغ القلب من الاشتغال إلا بالله تعالى، والفكر فيه، وأن يقصد محو الخواطر السحرية من باله كلما خطر له، فلا يلتفت إليه ولا يخافه، ولا يملأ قلبه بالفكر، والهم فيه. وجعل الإقبال على الله تعالى والإخلاص، والإنابة إليه سبحانه في محل خواطر نفسه، وأمانيها تدب فيها، دبيب تلك الخواطر شيئًا فشيئًا حتى يقهرها، ويغمرها، ويذهبها بالكلية، فتبقى خواطره، وهواجسه، وأمانيه، كلها في محاب الرب، والتقرب إليه، وذكره، واستعطافه.

٦- تجديد التوبة إليه سبحانه من الذنوب، التي بسببها، سلطت أعداؤه فإن الله تعالى:﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾[١] ذلك سواء يعلم

([١]) سورة آل عمران: ١٢٠

([٢])سورة الطلاق:آية ٣.

المسحور ذنوبه أو لا يعلمها، وليضع في اعتباره أن مالا يعلمه من ذنوبه أضعاف ما يعلمه.

٧- الصدقة والإحسان ما أمكنه، فإن لذلك تأثيرًا عجيبًا في دفع البلاء، ودفع العين، وشر الحاسد.

٨- وهو من أصعب الأسباب على النفس، وأشقّها عليها، ولا يوافق له إلاَّ من عظم حظه، من الله تعالى، وهو يطفىء نار الحاسد؛ والباغى، والمؤذى بالإحسان إليه، فكلما ازداد الأذى، شرًا وبغيًا، وحسدًا ازددت إليه إحسانًا وله نصيحة، وعليه شفقة، وذلك على الحاسد والعائن، أما الساحر اعتقد أنه يخرج من الإحسان أصلاً؛ لأنه لا يستحق إلاَّ القتل.

٩- وهو الجامع لذلك كله، وعليه مدار هذه الأسباب، وهو تجريد التوحيد، والترحل بالفكر في الأسباب إلى المسبب العزيز الحكيم ولا يضر، ولا ينفع إلاَّ بإذنه، ووحده هو الذى يصرف الضرار عنه،لا أحد سواه قال تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٢] فإذا جرد العبد التوحيد لله تعالى، خرج من قلبه، خوف ما سواه، وكان عدوه أهون عليه، من أن يخافه مع الله تعالى، بل تفرد الله تعالى بالمخافة، قد أمنّه منه، وخرج من قلبه اهتمامه به،واشتغاله به، وفكره فيه. وتجرد لله محبة وخشية، وإنابة وتوكلاً واشتغالاً، عن غيره.

فإن إعمال فكره في أمر عدوه، وخوفه منه، واشتغاله له به من نقص توحيده، والله تعالى هو الذي يتولى حفظه، والدفع عنه فإن الله تعالى: هو الذى يدافع عن الذين آمنوا، وبحسب إيمانه يكون دفاع الله تعالى عنه، قال الله تعالى﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ

([١])الشورى: ٣٠

([٢])يونس: ١٠٧

أَوْلِيَآءَهُۥ ﴾ [١] فكلما كمل إيمانه كان دفع الله تعالى عنه أتم دفع،وإن مزج مزج له، فالتوحيد حصن الله الأعظم، الذى من دخله كان من الآمنين.

ثامنًا: لقد وردت سور وآيات كريمة كثيرة، بذكرها إن شاء الله تعالى، مع الأعمال الصالحة يبرأ المسلم من أذى الساحر.

منها: سورة البقرة، فقد روى عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال : [لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة] [٢] ومن سورة البقرة أيضًا آية الكرسي]:

عن أبي هريرة ﷺ قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فآتاني آتٍ، فجعل يحثو من الطعام فأخذته، فقلت لأرفعنك إلى رسول ﷺ ، فذكر الحديث ، فقال إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي،لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبي ﷺ: [صدقك وهو كذوب... ذاك الشيطان][٣]

ومن سورة البقرة الآيتان من سورة البقرة، عن أبي مسعود ﷺ قال: قال النبي ﷺ: [من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه]. [٤]

وكفتاه: قيل من قيام تلك الليلة، وقيل من المكروه ، وقيل من الشيطان.

وذكر أيضا أنه يقرأ من سورة البقرة، أخرج عن أنس رضي الله عنه أن النبي قال ﷺ: ليس أشد على مرده الجن من هؤلاء الآيات، التي في سورة البقرة ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ

---

(١)آل عمران: آية: ١٧٥.

(٢)صحيح مسلم: ج٥٣٩/١-كتاب(صلاة المسافرين) باب(استحباب صلاة النافلة).

(٣)صحيح البخارى(١٩١٤/٤) كتاب فضائل القرآن/باب فضل سورة البقرة حديث رقم(٤٧٢٢).

(٤)الحديث فى سنن الترمزى: ج٥: ص٥١٧(كتاب الدعوات على رسول الله ﷺ - باب جامع الدعوات - حديث رقم (٣٤٧٨) حديث حسن صحيح.

﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1] "[2] ومما روى عنه ﷺ ، عن عائشة ﷺ أن النبي ﷺ : (كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة، جمع كفيه ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾=الإخلاص و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾الفلق و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾=الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات). والكثير من الأحاديث الشريفة، التي توضح كيفية التحصن والشفاء من هذا الداء.

والحمد لله رب العالمين وصلى اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

([1])البقرة ١٦٣-١٦٤.

([2]) صحيح البخارى:ج٤(١٩١٦) كتاب فضائل القرآن/ باب فضل المعوذات حديث رقم/(٤٧٢٩).

فهرس المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم .

٢- الأذكار – شيخ الإسلام محي الدين أبو زكريا يحي بن شرف النووي الدمشقي، الشافعي – طبعة: دار الكتاب العربي (بيروت – لبنان) سنة (١٩٩٩هـ – ١٩٧٩م) .

٣- الترغيب والترهيب: الإمام الحافظ زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى: طبعة/ مصطفي البابى الحلبي (الثالثة) لسنة (١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م) .

٤- سنن ابن ماجة (أبو عبدالله محمد بن يزيد) . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى: طبعة عيسى الحلبى – سنة (١٣٧٢هـ – ١٩٥٢م) .

٥- سنن أبو داود (الإمام الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدى السجستانى) – طبعة : مصطفى البابى الحلبي (الأولى) لسنة ١٩٥٢م.

٦- صحيح البخاري (محمد بن إسماعيل البخاري) تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي : طبعة المكتبة العصرية (صيدا – بيروت) .

٧- صحيح مسلم (الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج القيشيرى النيسابورى) – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – طبعة المكتبة العصرية (صيدا- بيروت) لسنة ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

٨- المجموع شرح المهذب – الإمام يحيى بن شرف النووي – طبعة : دار الفكر (بيروت) لسنة ١٩٩٧م.

٩- المفردات في غريب الحديث والأثر : طبعة دار المعارف .

١٠- النهاية في غريب الحديث والأثر : طبعة دار المعارف .

١١- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس – الشيخ . إسماعيل ابن محمد العجلونى الجراحي – تصحيح وتعليق أحمد الفلاس – طبعة مكتبة التراث الإسلامي (حلب).

١٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني – طبعة دار صادر (بيروت) .

١٣- الأعلام : طبعة (دار المعارف) .

١٤- التعريفات : الشريف على بن محمد بن على السيد الزين أبى الحسن الحسيني الجرجاني – طبعة (بيروت) لسنة ١٩٨٥م.

١٥- القاموس المحيط : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى : طبعة دار الكتب المصرية.

١٦- لسان العرب : ابن منظور : طبعة صادر (بيروت) (الأولى).

١٧- إبكار الأفكار في أصول الدين- الإمام سيف الدين الآمدى – تحقيق : أ٠د أحمد محمد المهدى: طبعة دار الكتب والوثائق القومية (القاهرة) سنة (١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م) .

١٨- أحاديث السحر والرقية في الكتب الستة رواية ودراية – الشيخ : موسى بن محمد بن جابر الفيفى – طبع على نفقة أهل الخير.

١٩- أحكام القرآن – أبو بكر الرازى – طبعه دار الفكر .

٢٠- أحكام القرآن – ابن عربى(أبو بكر محمد بن عبدالله بن العربى) – طبعة دار الفكر (لبنان) – تحقيق محمد عبد القادر غطاه .

٢١- إحياء علوم الدين: الإمام أبو حامد محمد بن محمد العزالى – ت(٥٠٥هـ) – ط المكتبة التوفيقية .

٢٢- أضواء البيان – الشنعيطى – طبعه دار الفكر (بيروت) سنة ١٤١٥هـ .

٢٣- أعلام الموقعين عن رب العالمين – ابن قيم الجوزية (أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبى بكر بن أيوب بن سعد الزرعى الدمشقي) – تحقيق عبد الرؤوف – طبعة دار الجيل (بيروت) ١٩٧٣م .

٢٤- المفردات فى غريب القرآن – الأصفهانى – طبعة دار المعارف (بيروت) .

٢٥- الملل والنحل : الإمام أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ت(٥٤٨) – تحقيق أبي محمد محمد بن فريد – طبعة المكتبة التوفيقية.

٢٦- بدائع الفوائد – محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله – تحقيق : عادل عبد الحميد العدوي – وهشام عبد العزيز عطا – وأشرف أحمد- طبعة مكتبة مصطفى الباز (مكة المكرمة) سنة (١٤١٦هـ – ١٩٩٦م) (الأولى) .

٢٧- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة ، والقرامطة ، و الباطنية – الإمام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس – طبعة مكتبة العلوم والحكم (بيروت – لبنان) لسنة ١٤٠٨هـ – (الأولى) .

٢٨- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام – شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي – طبعة : دار الكتاب العربي لبنان (بيروت) ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م (الأولى) تحقيق عمر عبد السلام تدمري.

٢٩- تفسير الطبري (الإمام محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر) طبعة مصطفي البابي الحلبي (القاهرة) (الثانية) ١٣٧٣هـ – ١٩٥٤م .

٣٠- تفسير القرطبي – طبعة دار الكتب المصرية ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م .

٣١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن – الإمام الطبري – طبعة دار الفكر (بيروت) سنة ١٤٠٥هـ .

٣٢- دائرة معارف القرن العشرين – محمد فريد وجدي- طبعة دار المعرفة للطباعة (الثانية) سنة ١٩٧١م (بيروت) .

٣٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم ، والسبع المثاني (الألوس) – طبعة إحياء التراث العربي (بيروت) .

٣٤- زاد المسير في علم التفسير – عبدالرحمن بن على بن محمد الجوزي – طبعة المكتب الإسلامي (الثالثة) دمشق .

٣٥- زاد المعاد في هدى خير العباد - محمد بن أبى بكر أيوب الزرعى أبو عبدالله - طبعة مؤسسة الرسالة مكتبة المنار الإسلامية (بيروت) (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م) الطبعة (الرابعة عشر) - تحقيق شعيب الأرناؤوط - وعبد القادر الأرناؤوط .

٣٦- شرح العقيدة الطحاوية - الإمام القاضى على بن على بن محمد بن أبى العز الدمشقي - تحقيق : د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي - وشعيب الأرنؤوط - طبعة مؤسسة الرسالة (الثانية) سنة (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٥م) .

٣٧- شرح المقاصد - الإمام العلامة مسعود بن عمر بن عبدالله الشهير" سعد الدين التفتازانى- طبعة الكتب العلمية (بيروت- لبنان) (الأولى) ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

٣٨- عالم السحر والشعوذة - أ.د/ عمر سليمان الأشقر - طبعة دار النفائس .

٣٩- عمدة القارئ شرح صحيح البخارى (بدر الدين محمود بن أحمد العينى) - طبعة دار إحياء التراث العربى (بيروت) .

٤٠- فتاوى العلماء في السحر - اللجنة الدائمة للإفتاء - طبعة مكتبة الصفا .

٤١- فنون السحر - أحمد الشفتاوى- طبعة دار المعرفة (مصر) سنة ١٩٥٧م .

٤٢- فيض القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير - تأليف محمد بن على بن محمد الشوكانى - طبعة (دار الفكر - بيروت) .

٤٣- قصة السحر والسحرة : للرازي - أخرجها من تفسيره محمد إبراهيم سليم - طبعة مكتبة القرآن الكريم) (الأولى) القاهرة .

٤٤- كشاف اصطلاحات الفنون- محمد الفارقى التهانوى- طبعة الهيئة المصرية .

٤٥- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - مصطفي بن عبدالله القسطنطينى الرومى الحنفي طبعة : دار الكتب العلمية (بيروت) ستة (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) (الثانية) .

٤٦- مجموع فتاوى - ابن تيمية - طبعة دار المعرفة (بيروت) .

٤٧- مشارق الأنوار – القاضي أبو الفضل عياض المالكي (٥٤٤هـ) (ابن عياض المالكي) – طبعة المكتبة العتيقة للتراث (القاهرة) .

٤٨- مطالب أولى النهى في شرح غاية المنتهى – مصطفي السيوطي الرحيباني – طبعة المكتب الإسلامي (دمشق) .

٤٩- معارج القبول – الشيخ حافظ حكمي – طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث (السعودية) .

٥٠- معالم التنزيل – الحسين بن مسعود البغوي – طبعة (طيبة) ١٤١٧هـ (الرابعة) .

٥١- مفتاح دار السعادة – ابن قيم الجوزية – طبعة دار الكتب المصرية .

٥٢- مفاتيح الغيب – الإمام الرازي – طبعة الكليات الأزهرية .